

المعنا

* السنة الثالثة *

* الجزء الثامن *

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

* الاسكندرية — يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٢ — ربيع اول سنة ١٣٢٠ *

مشاهير المنقذين والمناخرين

تاريخ ابن رشد وفلسفته

* وهو اعظم فلاسفة الاسلام *

واشهر شراح فلسفة ارسطو في القرون المتوسطة . ومن اجل ذلك كثرة نعاصوره وعزلوه من منصب قاضي قضاة الاندلس واهانوه ومنعوا كتبه ونفوه من وطنه . وهذه اول ترجمة كاملة لهذا الفيلسوف العظيم في اللغة العربية مقرونة بشرح فلسفته وآرائه باسطة عبارة . وسنردنها بغيرها من تراجم مشاهير فلاسفة العرب الذين شغلوا في تاريخ الحضارة والعلم حيزاً عظيماً . وحسبنا رضى القراء واستحسانهم جزاء على ما نعايناه في كتابة ترجمة كهذه الترجمة

بين الفلاسفة مسألة يسمونها مسألة « انكار العدالة في العالم او اثباتها » . ففهم فريق يرى ان العالم انما هو عبارة عن بطون تدفع واراض تبلى فلا نظام ولا ناموس وانما الحياة عراك شديد بين البشر يتغلب فيه القوي ويسقط الضعيف . وليست الفضيلة والخير والصالح شرطاً للانتصار في هذا العراك وانما القوة هي الشرط الوحيد . وبناء على ذلك كثيراً ما تسلحت الرذيلة بالقوة فانتصرت اعظم وانتصار وانكسرت امامها الفضيلة افيج انكسار .

وكفى دليلاً على ذلك سقراط وأريستيدس وابن الانسان سيد البشر . أفما سقى الاثينيون سقراط سماً لانه جهر بحقيقة من ايسط الحقائق وهي وحدانية الخالق . اما اهانوا أريستيدس مثال الصدق والاستقامة ونفوه من وطنه من اجل صدقه . فهل كانت الفضيلة تسقط هذا السقوط وتُداس بهذه الوفاة لو كان في الكون عدالة ساهرة

فبردت على ذلك انصار العدالة بقولهم وهم يتسمون : التحسبون ان سقراط كان مغلوباً مع الاثينيين . كلا بل انه انتصر عليهم وان كان قد شرب السم من ايديهم . ذلك ان الانتصار الحقيقي لا يتوقف على ظلم ساعة ولا على عذاب يوم . قال الفيلسوف بلوتين «مَن تشكوا بها الانسان ؟ امن ظلامه ؟ ولكن ما تاثير الظلامه في النفس الخالدة » . فظلامه الاثينيين لم تضر سقراط بل عاد شرها عليهم . ذلك ان كل فرد من افراد الانسانية منذ تلك الحادثة الفظيعة الى هذه الايام لا يُذكر على مسمع منه اسم سقراط واسم الاثينيين الا ويعظم الحكيم سقراط ويحترق اولئك الذين سمموه . اذا فمن الغالب ومن المغلوب من الفريقين . أليس الغالب ذلك الذي يعيش ذكره مبعجلاً معظماً في نفوس بني البشر الى آخر القرون والاجيال . وهل تريدون دليلاً أفضل من هذا على انه « ليس بالامكان ابدع مما كان » كما قال الامام الغزالي وعلى وجود عقل عام يدبر الكون بمبادئ ونواميس ثابتة ويجعل النصر فيه للفضيلة دائماً ولو بعد حين

اذا رمت دليلاً آخر فاليكم ابن رشد فيلسوف الاسلام العظيم . فان معاصريه كفروه ومنعوا كتبه واهانوه ونفوه . ولكن اي شأن لهذا كله في نظر العاقل الحكيم الذي ينظر الى جواهر الامور لا الى اعراضها . الا ينسى ابن رشد كل تلك الهنات الصغيرة اذا تسنى له ان يشاهد من مكانه الابدئي ما يقوله البشر عنه اليوم في اللغة العربية وغيرها واليك ترجمة هذا الفيلسوف العربي الذي يعتقد الافرنج انه الفيلسوف الحقيقي الوحيد الذي نبغ في الاسلام

﴿ ترجمته ﴾ هو ابو الوليد محمد بن احمد بن رشد وكانت اميرته من اكبر الاسر في الاندلس (اسبانيا) وقد ولي ابوه وجده منصب قاضي القضاة فيها . وكانت ولادة صاحب الترجمة في قرطبة في سنة ٥٢٠ هجرية (١١٢٦ مسيحية) وتوفي في بلاد المغرب (مراکش) في ٩ صفر من سنة ٥٩٥ هجرية وعمره ٧٥ سنة

وقد تلقى ابن رشد في صغره علم الكلام وهو في الدين الاسلامي بمنزلة اللاهوت في

الدين المسيحي . غير ان عقله المطبوع على طالب الحقيقة وحب التوسع في العلم لم يكتفِ بذلك فاقبل برغبة شديدة ونشاط عظيم على درس الطب والرياضيات والفلسفة . وكانت مدارس قرطبة والاندلس في ذلك الزمان مصابيح علم وهدى لجميع الامم . وقد فصلنا ذلك في مقالة «الاندلس وعز الاسلام القديم» في الجزء الاول من هذه السنة ولما شبَّ ابن رشد جعل قاضياً في قرطبة . وكانت دولة الموحدين قد اسقطت دولة المرابطين في مدة شبابه وحلت محلها وكان بن طفيل صديق بن رشد من اعظم اخضاء الدولة الغالبة فقرب صديقه من الخليفة يوسف الذي خلف الخليفة عبد المؤمن . وفي سنة ٥٤٨ هجرية عبر ابن رشد البحرين والاندلس وبلاد المغرب (مراكش) واقام فيها مساعداً على انشاء مدارسها واثارة مصباح العلم فيها . وفي عام ٥٦٥ هـ جعل قاضياً لاشبيلية في الاندلس وفي عام ٥٦٧ هـ عاد الى قرطبة . ثم سافر الى بلاد المغرب في عام ١١٨٢ وقد استدعاه اليها الخليفة يوسف وجعله طبيبه الخاص مكان بن طفيل . ثم رفاه الى منصب قاضي القضاة في قرطبة عاصمة الاندلس . فتربع بن رشد في كرسي ابيه وجده

تكفيره

وفي عام ١١٨٤ للميلاد ولي يعقوب المنصور بالله الخلافة في الاندلس خلفاً ليوسف ابيه فبلغ صاحب الترجمة لديه اسمي منزلة في بدء حكمه . واصبح في ذلك الزمان سلطان العقول والافكار لا راي الا رايه ولا قول الا قوله . ولكنه مكتوب لكل اصحاب العقول الذين يمتازون عن البله والبلداء واصحاب الدعوى في هذا العالم ان يتكاثروا بسبب ولاغير سبب . ولذلك حسد بن رشد جماعة من الذين قصروا عن شق غباره وبلوغ منزلته فوشوا به لدى الخليفة يعقوب المنصور بانه يحجد القرآن ويعرض بالخلافة وينشط الفلسفة وعلوم المتقدمين بدلاً من الدين الاسلامي . ولا غرابة في هذه التهمة بعد انصراف بن رشد الى الفلسفة وطلبه الحقيقة من طريق العقل في زمن كذلك الزمن وانما الغرابة ان لا تحدث يومئذتهم كهذه التهمة . ولذلك فكل فيلسوف اهل لان بلقب بهذا اللقب يحتمل هذا العدوان من المعاصرة احتماله امرأ طبيعياً لا مفر منه ولا مهرب . وبناءً على ذلك يكون اولئك الكبراء العظماء الذين عذبوا في بدء نشأة العلم في كل امة لاعتقادهم اعتقادات تناقض اعتقادهم بسطائها بمثابة شهداء يحق لهم علينا اليوم كل اكرام واحترام لانهم كانوا طليعة جيش العلم الذي لم ينصر الا بجهادهم وبدمائهم . حتى كانتهم ما خلّفوا الا لتلقى على ظهورهم احمال العلم والانسانية كلها

نصبه امام الجامع للبصق عليه

اما الخليفة يعقوب المنصور فانه لما رفعت اليه الشكوى على ابن رشد امر فاجتمع لديه اعظم فقهاء قرطبة وقضاة . ثم طرح عليهم الخليفة قضية ابن رشد وقد حضر ابن رشد نفسه هذا الاجتماع . فقرر الفقهاء ان تعاليمه كفر محض ولعنوا من يقرأها وقضوا على صاحبها بالنفي من قرطبة . ومن الاسف العظيم ان لا يكون لدينا تفصيل هذه الجلسة التي جرت محاكمة الفيلسوف فيها . فني ابن رشد الى لوسنه وهي بلدة قريبة من قرطبة وقضي عليه بالتزامها وعدم الخروج منها . وهنا اختلفت الروايات . فمن قائل ان ابن رشد اقام فيها حتى رحل الخليفة يعقوب المنصور الى بلاد المغرب ومن قائل انه سار منها يروم الخلاص من الامر فقبض عليه في فاس واوقف على باب الجامع ليصق عليه الناس في دخولهم وخروجهم . فاذا كان هذا الخبر صحيحاً فقد اهينت الفلسفة والحكمة والعقل في شخص ابن رشد اقبح اهانة . وذلك مما يجعل له حقاً جديداً في الكرامة والاحترام فوق حقه الفلسفي الكبير

ولسنا نزم انه يجوز لكل واحد من العلماء ان يضع مذهباً جديداً ويدعو الناس اليه وان كان منافقاً لمعتقدات الناس وهادماً لاساسها . كلا فان ذلك امر لا يخلو من مضرة من بعض الوجوه وان كان نافعاً من وجوه اخرى . ولكن كما انه لا يجوز للعالم الجالس في غرفته وراء مائدته وهو يبحث باخلاص وامعان عن الحقيقة او ما يظنه حقيقة — ان يدعو الناس الى ترك ما في ايديهم للتمسك بالامر الجديد الذي يظن انه قد وجده ويحقر كل من لا يعتقد معتقده كذلك لا يجوز للناس ان يمنعوا العقل البشري من الانطلاق في جو الفكر لطلب الحقيقة والعلم والنور بالآلات العقلية التي منحها الله اياها دون تضيق على هذه الآلات او ايقافها في مجراها . ولا ريب ان الامر الاول ضرب من الغرور والطيشة اذ ليس في العالم احد قادراً على اثبات ان الحقيقة في يده ومعتقده . ولذلك يجب على كل واحد من البشر ان يحتمل راي غيره وان كان مخالفاً لرايه . وهذا واسفاء لقصور العقل البشري وضيق ذراعه عن الاحاطة بفضاء الاسرار الالهية التي امامه . ولكن اذا كان الامر الاول غروراً وطيشة فالامر الثاني ضرب من ضروب الكفر بنعم الله تعالى لانه يقتضي اطفاء نور العقل الذي خلقه الله ووضعه في الانسان لمثل ما توضع المنائر على شواطئ البحار . انتطفئون المنارة في الانسان ثم تقولون له سر واعتقد انك سائر في الطريق القويم

عوده الى مقامه

وليس يسوء الحق شيء مثل اتخاذ الهوى مركباً في امور مقدسة كهذه الامور . فانه اذا كان كل معارض ومعارض يعارض ويعترض دفاعاً عن مبادئ مقررّة سيفي نفسه وهو يقوم بهذا الدفاع ولا غرض له غير طلب الحقيقة المجردة فهذه المعارضة وهذا الاعتراض امر مقدس يجب على كل عاقل ان يحترمه . ولكن من سوء حظ البشر انهم يقدمون الهوى دائماً على الحق . ولما تجدد شهيداً من شهداء العلم الذين بذلوا في سبيله كل مرتخص وغال الا وترى انه كان للحسد اليد الطولى في معارضتهم واضطهادهم . والذي يدل احسن دلالة على ان تكفير الفيلسوف بن رشد كان من هذا القبيل ان المنصور لما عاد من قرطبة الى بلاد المغرب (مراکش) ووجد نفسه بعيداً عن اعداء ابن رشد الذين اثروا عليه فجعلوه يكفروه وينفيه ذكر فضل هذا الفيلسوف الكبير وعلمه وسعة صدره وحسن اخلاقه فامر من المغرب بالغاء الحكم الذي حكم به عليه وباباحة الفلسفة والاذن للناس في الاشتغال بها . فعادت الى فيلسوف الاندلس كرامته ومزنته ولكنه لم يتمتع بها بعد ذلك مدة طويلة اذ ادركته المنية في بلاد المغرب فدفن فيها . وبعد ذلك نقلت جثته الى قرطبة التي نفتخر به لانها مسقط راسه

* مؤلفاته * كان ابن رشد مولعاً بالتأليف والمطالعة ولم يكن له لذة في غيرها . ولقد تمنى ان ينقطع عن منصبه اليهما لو ان ذلك كان في امكانه . وكان يقول في كتبه انه يشبه رجلاً اتصلت النار بمنزله فاخذ يخرج منه اثم اثاره شيئاً فشيئاً اما مؤلفاته فهي كثيرة يضيق المقام دون تعدادها كلها . فنكتفي اذاً بذكر كتبه الجليلة التي جعلت له في عالم الفلسفة والعلم هذه الشهرة الطائرة . وهذه الكتب قسمان : قسم في الطب وقسم في الفلسفة . فشهرته في العالم مبنية اذاً على هاتين الصناعتين : الطب والفلسفة . على انه قد ألف ايضاً في علم الكلام والصرف والفقه وعلم الفلك عدة مؤلفات . منها في علم الفلك مختصر المجسطي وفي الفقه كتاب دروس كاملة وفي الطب الكليات وهو ستة اجزاء تتضمن دروساً كاملة في صناعة الطب ولقد بقي لهذا الكتاب اهمية كبرى مدة طويلة . على ان اهم كتبه كلها شروح اريسطو التي بلغ بها مؤلفها اسمي منزلة

شرحه اريسطو

ولقد قلنا مؤلفها ولم نقل مترجمها لان بن رشد لم يترجم فلسفة اريسطو ولكنه شرحها

شرحاً . ولقد اخطأ من قال انه ترجمها لان ابن رشد لم يكن يحسن اللغة اليونانية فضلاً عن انه كان في دار الخلافة في الاندلس اطباء من النسطرة الذين كانوا قد ترجموا كتب ارسطو الى اللغة العربية . وكان كثيرون من علماء السريان والكلدان قد ترجموا هذه الكتب الى العربية قبل عصر ابن رشد بثلاثة قرون . فلا ريب ان فيلسوف الاندلس قد اعتمد في شرح ارسطو استاذة واستاذ فلاسفة العالم الى عهد باكون على هؤلاء المترجمين

وقد شرح ابن رشد فلسفة ارسطو بطرق ثلاث . الاولى الشرح الوجيز . والثانية الشرح المتوسط او الواسطة . والثالثة الشرح الكامل او المطول

اما الشرح الصغير فان ابن رشد يتناول فيه مواضيع ارسطو ويؤلف فيها من عند نفسه مقالات في غاية الاهمية . فهو في هذا الكتاب مؤلف لا شارح . واما الشرح المتوسط فانه يذكر في صدر كل فصل منه بضع كلمات من كتاب ارسطو ثم ينطلق في الشرح والتأليف فيختلط قوله بقول ارسطو حتى يصعب فصلها . واما الشرح المطول فان ابن رشد يذكر فيه فقرات ارسطو فقرة فقرة ثم يشرح اجزاءها شرحاً كافياً . وما لا ريب فيه ان ابن رشد لم يكن يضع الشرح الكبير الا بعد فراغه من الشرح الصغير . وقد قال فلاسفة الافرنج ان ابن رشد اعظم فلاسفة القرون الوسطى الذين تبعوا ارسطو وشرحوا اقواله

ومن الكتب التي نقلها عن ارسطو ما يلي « الكون والفساد . وما وراء الطبيعة . والبرهان . والنفس . والاخلاق . والسماء . والكون . وغيرها » وله ايضاً كتاب « التهافت » وهو رد على كتاب للامام الغزالي (١) عنوانه « تهافت الفلاسفة »

طبع كتبه وترجمتها

ومما يحق لابناء اللغة العربية ان يحجلوا منه انهم اذا طلبوا كتب هذا الفيلسوف بين ما طبع ونشر من الكتب بلغت في النهضة الحديثة لم يجدوا شيئاً منها . ولما قامت شركة

(١) هو ابو حامد محمد بن احمد الغزالي زين الدين الطوسي الفقيه الشافعي وقد اشتهر بين علماء الاسلام بالرد على الفلسفة اليونانية التي صار ابن رشد بعد ذلك زعيمها وامامها . وقد توفي في سنة ٥٠٥ للهجرة اي قبل ولادة خصمه ابن رشد بخمسة عشر عاماً . وسنأتي على ترجمته باسهاب

طبع الكتب العربية في القاهرة لاهياء المؤلفات القديمة الجليلة الشان اعرضت عن
 مؤلفات هذا الفيلسوف كل الاعراض مع انه كان يجب جعل كتبه في مقدمة الكتب
 التي طبعتها . وذلك لعدة اسباب . اولها ان القراء اكثر اقبالا عليها منهم على سواها كما ظهر
 بعد الاختبار . وثانيًا لانها اهم الكتب العربية على الاطلاق وحسبك انها كتب الفيلسوف
 الحقيقي الذي نبع في الاسلام . وثالثًا لانه كان يجب في هذا العصر الذي جاز العلم فيه كل
 ما قام في سبيله من العثرات وظهر مصباحه ساطعًا من وراء الظلمات ان يكون صوت بن
 رشد الجمهوري — ذلك الصوت الذي حاول الناس خنقه ولم يفلحوا — اول صوت يطرق
 مسامع الابناء ليذكروهم بمجد الاجداد القديم لعلمهم بذكرون عنده الاسباب التي محت
 ذلك المجد فيميتنبوها والامور التي نقلته منهم الى تلامذتهم الاوربيين فيقتبسوها . فانه لا
 اعرف من ابن رشد بتلك الاسباب وهذه الامور ولا ارشد من كتبه اليها وادل منها عليها
 اما الافرنج فانهم عنوا بترجمة كتب ابن رشد اشد عناية فترجمت مؤلفاته كلها الى
 اللغة اللاتينية لغة العلم والعلماء في ذلك الزمان . وكذلك الاسرائيليون فانهم ترجموا كتبه
 الى العبرانية لانهم كانوا من حملة العلم في اسبانيا واوريا . وكان منهم اكثر تلامذة ابن
 رشد . ويكفي لبيان الاهمية التي كانت لهذا الفيلسوف لدى الافرنج في صدر تلمذتهم
 ان نقول ان في مدينة البندقية وحدها اليوم اكثر من ٥٠ طبعة من مؤلفاته

* *

* فلسفة « المتكلمين » وآراؤهم في الوجود * وقبل ايضاح فلسفة بن رشد ناتي
 على آراء المتكلمين الذين عارضوها اذ في هذه المقابلة تمام الفائدة فنقول
 ان المتكلمين اي علماء الكلام في الدين الاسلامي قد وضعوا فلسفة خاصة بهم . وربما
 لم يكن من الصواب ان تدعى تعاليمهم فلسفة لانها عبارة عن مباحث دينية محضة ولكن كل
 ما جرى فيه كلام عن الخالق عز وجل وعالم الغيب وما وراء الطبيعة فهو فلسفة . ومن
 المعلوم ان كلمة فلسفة يونانية الاصل وهي مشتقة من كلمتين فيلوس ومعناها (محبة) وسوفيا
 ومعناها (الحكمة) فالفلسفة معناها اذًا (محبة الحكمة) . وهل في عالم الفكر الذي هو
 اشرف العوالم شي يستحق ان يسمى حكمة غير البحث في اصل الحكمة ومصدرها الاعلى
 فلسفة المتكلمين هذه مبنية على امرين . الاول حدوث المادة في الكون اي وجودها
 بخلق خالق . والثاني وجود خالق مطلق النصرف في الكون ومنفصل عنه ومدبر له . وبما
 ان الخالق مطلق النصرف في كونه فلا تسأل اذا عن السبب اذا حدث في الكون شي ؟

لان الخالق نفسه هو السبب وليس من سبب سواه . اذا فلا يلزم عن ذلك قطعاً ان يكون بين حوادث الكون روابط وعلائق كأن ينتج بعضها عن بعض لان هذه الحوادث تحدث بأمر الخالق وحده . وفي الامكان ان يكون العالم بصورة غير الصورة المصور بها الآن وذلك بقدرة هذا الخالق

روح جديد عصري

هذا لباب تعاليم المتكلمين ولسنا الآن في مقام البحث فيها بل اننا نبسطها لمقابلتها بتعليم ابن رشد . وانما نقول في معرض الكلام انه يلوح لنا ان كثيرين من علماء الكلام المعاصرين ومن اخواننا الكتاب المسلمين قد ادخلوا شيئاً من النظام في تلك الفوضى . فاننا نطالع بامعان لا مزيد عليه كل ما تنشره رصيفتنا مجلة المنار الغراء من الدروس التي يلقيها فضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الجامع الازهر تفسيراً للقرآن فيجد في كل صفحة من صفحاتها روحاً جديداً اذا تم انتشاره كانت بمنزلة اصلاح عظيم في العالم الاسلامي . ومقتضى هذا الروح الجديد تقييد الكون بنواميس طبيعية وضعها الخالق له فلا يحدث شيء في العالم الا بها . غير ان الاستاذ لا يذهب في ذلك مذهب الماديين الالهيين الذين يعتقدون ان الله سبحانه وتعالى قد خلق نواميس الكون واجراها في مجراها الطبيعي وقضى بان لا تخرج عنه ابداً . كلا لانه يعتقد بان الخالق الابدی الذي وضع تلك النواميس قد ينقضها حيناً من الزمن كلما شاء وذلك من اجل المرسلين الذين يختارهم لاصلاح حال البشر وهدايتهم الى منافعهم . ومهما يكن من هذا الامر فكفى هذا الرأي اهمية وجلالاً انه يجعل للكون نظاماً طبعياً ثابتاً يجري عليه . فالبشر الذين يدرسون هذا النظام ويعملون به ينعمون ويسعدون في هذه الحياة والذين يجهلون ويخالفونه استناداً الى ان الخالق ينقدهم وهم جالسون في بيوتهم سواء سمعوا ام لم يسمعوا فانهم يشقون ويخطون . ولقد كان علماء الادب في العصور المتقدمة ينكرون هذا الرأي ويكفرون صاحبه لاعتقادهم انه غير لائق بالخالق عز وجل اما اليوم فلم يبق مجال لهذا الانكار بعد الاكتشافات العلمية التي كشفت النقاب عن وجه النواميس الطبيعية التي تحكم الكائنات كلها من جماد وحيوان ونبات . ولكن ليس الفضل للبشر اليوم في التسامح وقبول هذا المبدأ الصحيح الجديد وانما الفضل لاولئك الذين خاطروا في العصور المتقدمة في كل ملة وامة بمناصبتهم وحياتهم وكرامتهم ولن يحذو حذوهم في هذا العصر لا بصال علمنا المطبوع على الجهل والقسوة والنعصب الى هذه الدرجة من

الاعندال والتسامح ومعرفة الحقائق الازلية الابدية

* فلسفته ورايه في المادة وخلق العالم * اما فلسفة ابن رشد فانها تناقض الفلسفة التي تقدمت . واليك خلاصة منها

المادة وخلق العالم

ان اعظم المسائل التي شغلت حكيم قرطبة مسألة اصل الكائنات . وهو يرى في ذلك راي اريسطو . فيقول ان كل فعل يفضي الى خلق شيء انما هو عبارة عن حركة . والحركة تقتضي شيئاً متحركاً ويتم فيه بواسطتها فعل الخلق . وهذا الشيء هو في رايه المادة الاصلية التي صنعت الكائنات منها . ولكن ما هي هذه المادة ؟ هي شيء قابل للانفعال ولا حد له ولا اسم ولا وصف . بل هي ضرب من الافتراض لا بد منه ولا غنى عنه . وبناء عليه يكون كل جسم ابدياً بسبب مادته اي انه لا يتلاشى ابدآ لان مادته لا تتلاشى ابدآ . وكل امر يمكن انتقاله من حيز القوة الى حيز الفعل لا بد له من هذا الانتقال والاحداث فراغ ووقوف في الكون . وعلى ذلك تكون الحركة مستمرة في العالم ولولا هذه الحركة المستمرة لما حدثت التحولات المتتالية الواجبة لخلق العالم بل لما حدث شيء قط . وبناء عليه فالعامل الاول الذي هو مصدر القوة والفعل (اي الخالق سبحانه وتعالى) يكون غير مختار في فعله لان الحرية والاختيار يقتضيان كونه محدثاً والخالق تنزه عن ان يكون محدثاً

اتصال الكون بالخالق

هذا فيما يختص بخلق العالم . وهو مذهب قريب جداً من مذاهب الماديين كما نرى . ولكن كيف يستولي العامل الاول على الكون ويدبره لابن رشد في ذلك تمثيل يدل على حقيقة مذهبه في هذه المسألة الخطيرة . فانه يشبه حكومة الكون اي تدبيره بحكومة المدينة . فانه كما ان كل شؤون المدينة تفرق وتنتج الى نقطة واحدة وهي نقطة الحاكم العام فيها فيكون هذا الحاكم مصدراً لكل شؤون الحكم ولولم تكن له يد في كل شأن من هذه الشؤون كذلك الخالق في الاكوان فانه نقطة دائرتها ومصدر القوات التي تدبرها وان لم يكن له دخل مباشرة في كل جزء من هذه القوات . فبناء على ذلك لا يكون للكون « اتصال » بالخالق مباشرة . وانما هذا الاتصال يكون للعقل الاول وحده . وهذا العقل الاول هو عبارة عن المصدر الذي تصدر

عنه القوة للكواكب . وعلى ذلك فالسما في رأي فيلسوف قوطبة كوف حي بل اشرف
الاحياء والكائنات . وهي مؤلفة في رايه من عدة دوائر يعتبرها اعضاء اصلية للحياة .
والنجوم والكواكب تدور في هذه الدوائر . اما العقل الاول الذي منه قوتها وحياتها فهو
في قلب هذه الدوائر . ولكل دائرة منها عقل اي قوة تعرف بها طريقها كما ان للانسان
عقلاً يعرف به طريقه . وهذه العقول الكثيرة المرتبطة بعضها ببعض والتي تلي بعضها بعضاً
محكومة بعضها ببعض انما هي عبارة عن سلسلة من مصادر القوة التي تحدث الحركة من
الطبقة الاولى في السماء الى ارضنا هذه . وهي عالمة بنفسها وبما يجري في الدوائر السفلى
البعيدة عنها . وبناء على ذلك يكون للعقل الاول الذي هو مصدر كل هذه الحركات علم
بكل ما يحدث في العالم

طريق الاتصال

وان قيل ما هي علاقة الانسان بالخالق . فالجواب عن ذلك ياخذ ابن رشد ايضاً
عن اريسطو من الفصل الثالث من كتابه « النفس » . وخلاصة ذلك ان في الكون
عقلاً فاعلاً وعقلاً منفعلاً . فالعقل الفاعل هو عقل عام مستقل عن جسم الانسان
وغير قابل للامتزاج بالمادة . واما العقل المنفعل فهو عقل خاص قابل للفناء والتلاشي مثل
باقي قوى النفس (١) وانما يقع العلم والمعرفة باتحاد هذين العقلين . ذلك ان العقل المنفعل
يميل دائماً للاتحاد بالعقل الفاعل كما ان القوة تقتضي مادة تنفذ فيها والمادة تقتضي شكلاً
توضع به . واول نتيجة تحصل من هذا الاتحاد تدعى العقل المكتسب . ولكن قد نتحد
النفس البشرية بالعقل العام اتحاداً اشد من هذا فيكون هذا الاتحاد عبارة عن امتزاجها
جد الامتزاج بالعقل القديم الازلي . ولا يتم هذا الاتحاد بالعقل الاكتسابي الذي تقدم

(١) وما يجانس هذا البحث دعاة لافلاطون رواء بهاء الدين العاملي وهذا نصه « ياروحاني
المتصلة بالروح الاعلى تضرعي الى العلة التي انت معلولة من جبتها للتضرع الى العقل الفاعل
ليحفظ عليّ صحتي النفسانية ما دمت في عالم التركيب ودار التكليف » وايضاً في موضع آخر
« يا علة العلل . يا قديماً لم يزل . يا منشاء مبادئ الحركات الاول . يا من اذا شاء
فعل . احفظ عليّ صحتي النفسانية ما دمت في عالم الطبيعة » وما كان بقوله فيثاغورس
(في رواية العاملي ايضاً) يا واهب الحياة انقذني من درن الطبيعة الى جوارك على خط
مستقيم فان الموج لا نهاية له »

ذكره فانما وظيفة العقل الاكتسابي ايصاله الى حرم الخالق الازلي دون ان يدغمه به .
واما ادغامه واتصاله به فذلك امر لا يتم الا بطريق « العلم » . فالعلم اذا هو سبب « الاتصال »
بين الخالق والمخلوق . ولا طريق غير هذا الطريق . ومتى اتصل الانسان بالله صار مثله
عارفاً بكل شيء في الكون ولم يعد يفقه شيء . ولكن كيف يتصل الانسان بالله ؟ يتصل به
بان ينقطع الى الدرس والبحث والتنقيب ويحرق بنظره حجب الاسرار التي تكتنف الكون
فانه متى خرق هذا الحجاب ووقف على كنهه الامور وجد نفسه وجهاً لوجه امام
الحقيقة الابدية

اما المتصوفة فانهم يقولون ان هذا « الاتصال » يتم بواسطة الصلاة والتأمل والتجرد
وليس العلم ضرورياً له

وبناء على ذلك تكون فلسفة صاحب الترجمة عبارة عن مذهب مادي قاعدته العلم .
والكون في رأيه كما مرّ بك انما صنع بقوة مبادئ قديمة مستقلة محكومة بعضها ببعض
وكلها مرتبطة ارتباطاً مبهماً بقوة عليا . ومن هذه المبادئ شيء يستلزم على العالم ويضع
فيه العقل فهو عقل الانسانية . وهذا الشيء الذي يسميه عقلاً ايضاً هو عقل ثابت لا يتغير
اي انه لا يتقدم ولا يتأخر لا يزيد ولا ينقص . والناس يشتركون فيه ويستمدون
منه بكميات متباينة . على ان من كان منهم اكثر استمداداً منه كان اقرب الى
الكمال والسعادة (١)

(١) وبما ان روح هذه الفلسفة مأخوذ عن ارسطو وعن استاذه افلاطون
فيحسن بنا ان نذكر في هذا المقام حديثاً لافلاطون مع تلامذته رواء بهاء الدين العالمي
ولا نضمن صحة حرفه بل صحة روحه . قال افلاطون « ربما خلوتُ بنفسي كثيراً عند
الرياضيات وتاملت احوال الموجودات المجردة عن الماديات وخلعت بدني جانباً وصرت
كافي مجرد بلا بدن عارٍ عن الملابس الطبيعية فاكون داخلاً في ذاتي لا اعقل غيرها
ولا انظر فيما عداها وخارجاً عن الاشياء فينشد ارى في نفسي من الحسن والبهاء والثناء
والضياء والمحاسن الغريبة العجيبة الاليفة ما ابقى عنده متعباً حيران باهتاً فاعلم اني جزء من
اجزاء العالم الاعلى الروحاني الكريم الشريف واني ذو حياة فعالة . ثم ترقيت بدني من
ذلك العالم الى العوالم الالهية والحضرة الربوبية فصرت كافي موضوع فيها معلق بها فوق
العوالم العقلية النورية فارى كافي واقف في ذلك الموقف الشريف وارى هناك من البهاء

المخلود

ولكن هل ان نفس الانسان خالدة ام لا في هذا المذهب ؟ وهل كان ابن رشد يعتقد بحياة ثانية

ربما كان لابن رشد جوابان على هذه المسألة الخطيرة التي هي الآن دعامة عظيمة من دعائم الانسانية . فانتا في اثناء مطالعاتنا لبعض كتبه قبل الاقدام على ترجمته رأينا له في عدة مواضع كلاماً يدل اُصْرَح دلالته على اعتقاده بالحياة الثانية حتى بالعقاب والثواب ايضاً . ففجئنا كل العجب من تكفير الناس رجلاً يرى هذا الراي . ولكننا لما وصلنا الى مذهبه الفلسفي ورأينا متابعتة لا ريسطو فيما يختص باعتقاده بالنفس وخلق الكون تغور وجه المسألة . ذلك ان ابن رشد كان يكتب هنالك كرجل مؤمن خاضع لتقاليد آباءه واجداده فهو يكتب بقلبه لا بعقله . اما عند بحثه بالعقل عن مصدر العقل وعلة العلل فقد كان يكتب كفيلسوف يدخل بجرأة الاسد الى كهف الحقيقة المحجبة ولا يبالي . ولذلك قلنا انه ربما كان له في ذلك جوابان

اما الجواب الاول فيما يختص بالعقاب والثواب فهو قول مشهور وانما يزيد عليه ابن رشد وجوب التأويل . واما جوابه الثاني اي الجواب الفلسفي الذي طلبه بالعقل دون سواء فاليك خلاصته

قال : ان العقل الفاعل العام الذي تقدم ذكره من صفاته انه مستقل ومنفصل عن المادة وغير قابل للفناء والملاشاة . والعقل الخاص المنفعل من صفاته الفناء مع جسم الانسان . وبناءً عليه يكون العقل العام الفاعل خالداً والعقل المنفعل فانياً . ولكن ما هو العقل الفاعل العام الذي هو خالد في راي ابن رشد ؟ ان هذا العقل الخالد هو العقل المشترك بين الانسانية . فالانسانية اذا هي خالدة وحدها دون سواها . وبناءً على ذلك لا يكون بعد الموت حياة فردية ولا شيء مما يقوله العامة عن الحياة الثانية

والنور ما لا تقدر الاسن على وصفه ولا الاسماع على قبول نقشه . فاذا استغرقني ذلك الشأن وغلبني ذلك النور والبهاء ولم افو على احتماله هبطتُ من هناك الى عالم الفكرة فحينئذ حجبتُ الفكرة عني ذلك النور فابقي متعجباً اني كيف انحدرت من ذلك العالم وعجبت كيف رايت نفسي متمثلة نوراً وهي مع البدن كهيئتها . فعندها تذكرت قول مطريوس حيث امرنا بالطلب والبحث عن جوهر النفس الشريف والارتقاء الى العالم العقلي »

فلسفته الادبية

اما الفلسفة الادبية فلم تشغل سوى حيز صغير في مذهب هذا الفيلسوف بازاء فلسفته المادية . وقد صرف همه في تلك الفلسفة الى نقض مذاهب « المتكلمين » الذين يقولون ان الخير في يد الله وانه يصنعه بالبشر حينما يشاء وكيفما يشاء وبقدر ما يشاء من غير علة ولا سبب بل لان ارادته تقتضي ذلك . فمن راي ابن رشد في ذلك ان هذا المبدأ ينقض كل مبادئ العدل والحق لان ذلك يجعل حكومة العالم فوضى ربما شقي فيها الحكيم الفاضل وسعد الشرير اللئيم

اما حرية الانسان فهو يذهب فيها مذهبا معتدلاً . فانه يقول ان الانسان غير مطلق الحرية تماماً ولا مقيداً تماماً . وذلك انه اذا نظر اليه من جهة نفسه وباطنه فهو حر مطلق لان نفسه مطلقة الحرية في جسمه ولكن اذا نظر اليه من جهة حوادث الحياة الخارجية كان مقيداً بها لما لها من التأثير على اعماله

تلخيص احد كتبه

(الاتفاق بين الفلسفة والشرعة الاسلامية)

واتماماً للفائدة لنخص في هذه المقالة كتاباً لابن رشد عنوانه « فصل المقال فيما بين الشرعة والحكمة من الاتصال » ليقف القارئ على مذهب هذا الفيلسوف لفظاً ومعنى خصوصاً لان هذا الكتاب متعلق بالموضوع الذي بحثنا هنا عنه . وغرض المؤلف في هذا الكتاب ثلاثة امور . الاول اثبات ان الشرع الاسلامي يميز « اعتبار الموجودات بالعقل وطلب معرفتها به » اي النظر فيها نظراً فلسفياً . والثاني وجوب تاويل آيات القرآن التي ظاهرها يخالف البرهان والعقل . والثالث وجوب عدم ذكر هذه التاويلات في الكتب التي تكتب لعامة الناس لان ذلك يجر العامة الى الكفر . ولا ريب انه بهذا القيد الاخير قد دل على اعتداله ووزانته واضعف به حجج اعدائه اللهم الا ان يكون غرضه فيه الخط من مقام الامام الغزالي الذي كان مقاوماً للفلسفة اليونانية كما تقدم . وذلك لان هذا الامام قد بسط تلك التاويلات في كتبه

وقد ابتدأ المؤلف الكتاب الذي نحن في صده بقوله « اما بعد حمد الله بجميع محامده والصلاة والسلام على محمد عبده المطهر المصطفى ورسوله » . وبذلك اعترف اعترافاً صريحاً بالاصلين العظيمين من اصول الدين الاسلامي الذي كان يتهمه حساده بالمروق

منه والزيف عنه . ثم انه بعد ذلك يقول (١)

وجوب النظر بالقياس العقلي والاخذ عن غير المشار كين — « ان الموجودات انما تدل على الصانع لمعرفة صنعتها . وانه كلما كانت المعرفة بصنعتها اتم كانت المعرفة بالصانع اتم » وقد جاء في القرآن « اعتبروا يا اولى الابصار . وهذا نص على وجوب استعمال القياس العقلي او العقلي والشرعي معاً » وقوله « او لم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء . وهذا نص بالحث على النظر في الموجودات » وقوله « وكذلك مُزَيَّ ابراهيم ملكوت السماوات والارض الآية » وايضاً « افلا ينظرون الى الابل كيف مُخلقت والى السماء كيف مُرفعت » وايضاً « وبتفكرون في خلق السماوات والارض »

قال « واذا نقرر ان الشرع قد اوجب النظر بالعقل في الموجودات واعتبارها . وكان الاعتبار ليس شيئاً اكثر من استنباط المجهول من المعلوم واستخراجه منه — وهذا هو القياس او بالقياس — فوجب ان نجعل نظرنا في الموجودات بالقياس العقلي » « وليس لقائل ان يقول ان هذا النوع من النظر في القياس العقلي بدعة اذ لم يكن في الصدر الاول » (من الاسلام) « فان اكثر اصحاب هذه الملة مثبتون القياس العقلي الا طائفة من الحشوية قليلة وهم محجوجون بالنصوص » « وان كان لم يتقدم احد من قبلنا بفحص عن القياس العقلي وانواعه فيجب علينا ان نبتهى بالفحص عنه وان يستعين في ذلك المتقدم بالمتاخر حتى تكمل المعرفة به » « وان كان غيرنا قد فحص عن ذلك فبين انه يجب علينا ان نستعين على ما نحن بسبيله بما قاله من تقدمنا في ذلك . وسواء كان ذلك الغير مشاركاً لنا او غير مشارك في الملة فان الآلة التي تصح بها التذكية ليس يُعتبر في صحة التذكية بها كونها آلة لمشارك لنا في الملة او غير مشارك اذا كانت فيها شروط الصحة . واعني بغير المشارك من نظر في هذه الاشياء من القدماء قبل ملة الاسلام » ولما كان القدماء قد اخصوا عن امر المقاييس العقلية اتم فحص « فقد ينبغي ان نضرب بايدينا الى كتبهم فننظر فيما قالوه من ذلك فان كان صواباً » « قبلنا منهم وسررنا به وشكرناهم عليه . وما كان منه غير موافق للحق نهينا عليه وحذرنا منه وعذرناهم »

نقول اما كلمة « عذرناهم » هنا فانها في الحقيقة كلمة فيلسوف وهي اجمال ذلك

(١) ان العبارات والفقرات الموضوعة بين قوسين او ضمتين هي لابن رشد والتي

بلا قوسين او ضمتين هي للجامعة ويقصد بها التحام المعنى واتصاله

القول الجليل

ثم قال « لو فرضنا صناعة الهندسة في وقتنا هذا معدومة وكذلك صناعة علم الهيئة (علم الفلك) ورام انسان واحد من تلقاء نفسه ان يدرك مقادير الاجرام السماوية واشكالها وابعاد بعضها عن بعض لما امكنه ذلك » « ولو كان اذكي الناس طبعاً الا بوحى اوشيء يشبه الوحي » « وهذا امر يتبين بنفسه ليس في الصنائع العلمية فقط بل وفي العملية فانه ليس منها صناعة يقدر ان ينشئها واحد بعينه . فكيف بصناعة الصنائع وهي الحكمة »

« فقد تبين من هذا ان النظر في كتب القدماء (يعني الكتب اليونانية) واجب بالشرع اذا كان مغزاهم في كتبهم ومقصدهم هو المقصد الذي حثنا الشرع عليه . وان من نهى عن النظر فيها من كان اهلاً للنظر فيها — وهو الذي جمع امرين احدهما ذكاء الفطرة والثاني العدالة الشرعية والفضيلة العلمية والخلقية — فقد صدأ الناس عن الباب الذي دعا الشرع منه الناس الى معرفة الله وهو باب النظر المؤدي الى معرفته حق المعرفة وذلك غاية الجهل والبعد عن الله تعالى »

وجوب التأويل -- ثم انتقل من هذه القضية بعد اثباتها الى قضية التأويل فقال « واذا كانت هذه الشرائع (الاسلامية) حقاً وداعية الى النظر المؤدي الى معرفة الحق فاننا معشر المسلمين نعلم على القطع انه لا يؤدي النظر البرهاني الى مخالفة ما ورد به الشرع فان الحق لا يصاد الحق بل يوافقه ويشهد له » اي ان العلم موافق للدين كما ان الدين موافق للعلم . وبناءً على ذلك قال الفيلسوف : « ونحن نقطع قطعاً ان كل ما ادى اليه البرهان وخالفه ظاهر الشرع ان ذلك الظاهر يقبل التأويل على قانون التأويل العربي » « واذا اعتبر الشرع وتصفحت سائر اجزائه وجد في الفاظ الشرع ما يشهد بظاهره لذلك التأويل او يقارب ان يشهد . ولهذا المعنى اجمع المسلمون على انه ليس يجب ان تحمل الفاظ الشرع كلها على ظاهرها ولا ان تخرج كلها من ظاهرها بالتأويل » « والسبب في ورود الشرع فيه الظاهر والباطن هو اختلاف نظر الناس وتباين قرائحهم في التصديق . والسبب في ورود الظواهر المتعارضة فيه هو تنبيه الراسخين في العلم على التأويل الجامع بينهما » ولهذا المعنى ورد في القرآن « هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات (الى قوله) والراسخون في العلم »

« وكثير من الصدر الاول قد نقل عنهم انهم كانوا يرون ان للشرع ظاهراً وباطناً وانه ليس يجب ان يعلم بالباطن من ليس من اهل العلم به ولا يقدر على فهمه مثل ما روى

البخاري عن علي رضي الله عنه انه قال حدثوا الناس بما يعرفون اتريدون ان يكذب الله ورسوله » « ونحن نعلم قطعاً انه لا يخلو عصر من الاعصار من علماء يرون ان في الشرع اشياء لا ينبغي ان يعلم بحقيقتها جميع الناس »

رده علي الامام الغزالي — ولكن هل اجماع الآراء في التأويل ممكن . قال الفيلسوف كلا . اذا « فما نقول في الفلاسفة من اهل الاسلام كابني نصر وابن سينا فان ابا حامد (الغزالي) قد قطع بتكفيرها في كتابه المعروف بالتهافت في ثلاث مسائل : (١) في القول بقدم العالم (٢) بانه تعالى لا يعلم الجزئيات تعالى عن ذلك (٣) في تأويل ما جاء في حشر الاجساد واحوال المعاد » قال الفيلسوف في ذلك « ليس تكفيره في ذلك قطعاً اذ قد صرح في كتابه (النفرة) ان التكفير يخرج اجماع فيه احتمال » ثم تناول ابن رشد مسألة علم الله بالجزئيات وهي المسألة الثانية فقال علم المخالف بجزئيات الامور

وقد نرى ان ابا حامد (الغزالي) قد غلط على الحكماء المشائين (١) فيما نسب اليهم من انهم يقولون انه قدس وتعالى لا يعلم الجزئيات اصلاً . بل يرون انه تعالى يعلمها بعلم غير مجانس لعلمنا بها . وذلك ان علمنا معلول للمعلوم به فهو محدث بمحدثه ومتغير بتغيره . وعلم الله بالوجود على مقابل هذا فانه علة للمعلوم الذي هو الموجود فمن شبه العلمين احدهما بالآخر فقد جعل ذوات المتقابلات وخواصها واحدة وذلك غاية الجهل »

العالم قدم ام حديث

ونظر بعد ذلك في المسألة الاولى اي قدم العالم فقال ان فيها ثلاثة اقوال « طرفان واسطة بين الطرفين . وقد اتفقوا في تسمية الطرفين واختلفوا في الواسطة . فاما الطرف

(١) قال بهاء الدين العاملي « كان تلامذة افلاطون ثلاث فرق وهم « الاشراقيون والرواقيون والمشاءون » فالاشراقيون هم الذين جردوا الواح عقولهم عن النقوش الكونية فاشترقت عليهم لمعات انوار الحكمة من لوح النفس الافلاطونية وحدها من غير توسط العبارات وتحلل الاشارات . والرواقيون هم الذين كانوا يجلسون في رواق بيت افلاطون ويقتبسون الحكمة من عباراته واشاراته . والمشاءون هم الذين كانوا يمشون في ركابه ويتلقون منه فرائد الحكمة في تلك الحالة . وكان اريسطو من هؤلاء وربما يقال ان المشائين هم الذين كانوا يمشون في ركاب اريسطو لا في ركاب افلاطون »

الواحد فهو موجود وجد من شيء غيره وعن شيء أعني عن سبب فاعل ومن مادة والزمان متقدم عليه أعني على وجوده » ويدخل في ذلك النبات والحيوان والارض والهواء والماء « وقد اتفق الجميع على تسميتها محدثة » « واما الطرف المقابل لهذا فهو موجود لم يكن من شيء ولا عن شيء ولا تقدمه زمان . وهذا ايضا اتفق الجميع من الفرقتين (القدماء والاشعرين) على تسميته قديماً وعمول الله تبارك وتعالى فاعل الكل وموجده والحافظ له « بقيت الوساطة وهي « موجود لم يكن من شيء ولا تقدمه زمان ولكنه موجود عن شيء أعني عن فاعل وهذا هو العالم بأسره » « والكل منهم متفق على وجود هذه الصفات الثلاث للعالم » « والمتكئون (علماء الكلام) متفقون ايضا مع القدماء (اليونان) على ان الزمان المستقبل غير متنام وكذلك الموجود المستقبل وانما يختلفون في الزمان الماضي فالتكئون يرون انه متنام »

واصحاب هذه المذاهب « من غلب عليه ما في الزمان من شبه القديم على ما فيه من شبه المحدث سماه قديماً ومن غلب عليه ما فيه من شبه المحدث سماه محدثاً . وهو في الحقيقة ليس محدثاً حقيقياً ولا قديماً حقيقياً فان المحدث الحقيقي فاسد ضرورة والقديم الحقيقي ليس له علة . ومنهم من سماه محدثاً ازلياً وهو افلاطون وشيعته لكون الزمان متناهماً عندهم في الماضي . فالمذاهب في العالم ليست تتباعد كل التباعد حتى يكفر بعضها ولا يكفر »

« وهذا كله مع ان هذه الآراء في العالم ليست على ظاهر الشرع فان ظاهر الشرع اذا تصفح ظهر من الايات الواردة في الانباء عن ايجاد العالم ان صورته محدثة بالحقيقة وان نفس الوجود والزمان مستمر من الطرفين أعني غير منقطع وذلك ان قوله تعالى (وهو الذي خلق السماوات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء) يقتضي بظاهره وجوداً قبل هذا الوجود وهو العرش والماء وزماناً قبل هذا الزمان أعني المقترن بصورة هذا الوجود الذي هو عدد حركة الفلك . وقوله تعالى (يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات) يقتضي ايضا بظاهره وجوداً ثانياً بعد هذا الوجود وقوله تعالى (ثم استوى الى السماء وهي دخان) يقتضي بظاهره ان السماوات خلقت من شيء » (١)

(١) وما لا يخلو ذكره هنا من فائدة وفكاهة قول حضرة الرحالة ك في كتابه طبائع الاستبداد الذي صدر في العام الماضي عن تاويل بعض آيات القرآن تاويلاً ينطبق على اقوال العلماء في خلق الكون والاكتشافات العلمية الحديثة وهذا نصه : « قد كشفوا ان مادة الكون هي الاثير وقد وصف القرآن بدأ التكوين فقال « واستوى الى السماء وهي دخان » — وكشفوا ان الكائنات في حركة دائمة دائبة والقرآن يقول « وآية

ولكن اذا كان التاويل واجباً فهو لا يكون في الاصول « مثل الاقرار بالله تبارك وتعالى والنبوت وبالسعادة الآخوية والشقاء الآخوي » بل يكون في الفروع « وان كان في الاصول فالمتاويل له كافر مثل من يعتقد انه لا سعادة آخوية ههنا ولا شقاء وانه انما قصد بهذا القول ان يسلّم الناس بعضهم من بعض في ابدانهم وحواسهم وانما حيلة وانه لا غاية للانسان الا وجوده المحسوس فقط »

« واذا نقرر هذا فقد ظهر لك من قولنا ان ههنا ظاهراً من الشرع لا يجوز تاويله

لم الارض الميتة احييناها » الى ان يقول « وكل في فلك يسبحون » — وحققوا ان الارض منفقة من النظام الشمسي والقرآن يقول « ان السموات والارض كانتا رتقاً ففلقناهما » — وحققوا ان القمر منشق من الارض والقرآن يقول « افلا يرون انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها » ويقون اقتربت الساعة وانشق القمر — وحققوا ان طبقات الارض سبعة والقرآن يقول « خلق السبع سماوات طباقاً ومن الارض مثلها » — وحققوا انه لولا الجبال لافنضى الثقل النوعي ان تميد الارض اي ترتج في دورتها والقرآن يقول « التي في الارض رواسي ان تميد بكم » — وكشفوا ان التغيير في التركيب الكيماوي بل والمعنوي ناشئ عن تحالف نسبة المقادير والقرآن يقول « كل شيء عنده بمقدار » — وكشفوا ان للجمادات حياة قائمة بماء التبلور والقرآن يقول « جعلنا من الماء كل شيء حياً » — وحققوا ان العالم العضوي ومنه الانسان ترقى من الجماد والقرآن يقول « خلقنا الانسان من سلاله من طين » — وكشفوا ناموس اللقاح العام في النبات والقرآن يقول « خلق الازواج كلها مما تنبت الارض » — ويقول « فاخرجنا به ازواجاً من نبات شتى » ويقول « واهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج » ويقول « من كل الثمرات جعل فيها زوجين » — وكشفوا طريقة امساك الظل اي التصوير الشمسي والقرآن يقول « الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً » — وكشفوا تسيير السفن والمركبات بالبخار والكهرباء والقرآن يقول بعد ذكره الدواب والجواري بالريح « وخلقنا لهم من مثله ما يركبون » — وكشفوا وجود المكروب وتأثيره الجذري وغيره من المرض والقرآن يقول « ارسل عليهم طيراً ابابيل » اي متتابعة محتمة « ترميهم بحجارة من سجيل » اي من طين المستنقعات اليابس الى غير ذلك من الآيات الكثيرة المحققة لبعض مكتشفات علم الهيئة والنواميس الطبيعية »

فان كان تاويله في المبادئ فهو كفر . وان كان فيما بعد المبادئ فهو بدعة . وهنا ايضا ظاهر يجب على اهل البرهان تاويله وحملهم اياه على ظاهره كفر وتاويل غير اهل البرهان له واخراجه عن ظاهره كفر في حقهم او بدعة » « وفي هذا الصنف آية الاستواء وحديث النزول ولذلك قال عليه السلام في السوداء اذا خبرته ان الله في السماء اعنقها فانها مؤمنة اذ كانت ليست من اهل البرهان . والسبب في ذلك ان الصنف من الناس الذين لا يقع لهم التصديق الا من قبل التخييل اعني انهم لا يصدقون بالشئ الا من جهة ما يتخيّلونه بعسر وقوع التصديق لهم بوجود ليس منسوباً الى شئ متخيّل »

المعاد وحملته على الغزالي

ثم انه بعد هذا التمهيد تناول المسألة الثالثة من مسائل الغزالي اي مسألة المعاد (١) فقال « يشبه ان يكون الخطي في هذه المسألة من العلماء معذوراً والمصيب مشكوراً او ماجوراً » ثم قال ان التاويل في هذه المسألة الخطيرة يجب ان يكون « في صفة المعاد لا في وجوده » على شرط ان يكون التاويل « لا يؤدي الى نفي الوجود » لان « جحد الوجود في هذه كفر لانه في اصل من اصول الشريعة » « واما من كان من غير اهل العلم فالواجب حملها على الظاهر وتاويلها في حقه كفر لانه يؤدي الى الكفر » وهنا حمل حملة شديدة على الامام الغزالي فقال ما نصه

(١) واليك ما ذكره الامام الغزالي عن « المعاد » في كتابه تهافت الفلاسفة « الاقوال الممكنة في امر المعاد لا تزيد على خمسة وقد ذهب الى كل منها جماعة « الاول » ثبوت المعاد الجسماني فقط وان المعاد ليس الا لهذا البدن وهو قول نفاة النفس الناطقة المجردة وهم اكثر اهل الاسلام « الثاني » ثبوت المعاد الروحاني فقط وهو قول الفلاسفة الالهيين الذين ذهبوا الى ان الانسان هو النفس الناطقة فقط وان البدن آلة تستعمل وتنتصرف فيه لاستكمال جوهرها « الثالث » ثبوت المعاد الروحاني والجسماني معاً وهو قول من ثبتت النفس المجردة الناطقة من الاسلاميين كالامام الغزالي والحكيم الراغب وغيرها وكثير من المتصوفة « الرابع » عدم ثبوت شي منها وهو قول قدماء الطبيعيين الذين لا يعتد بهم ولا بمذاهبهم لا في الملة ولا في الفلسفة « الخامس » في التوقف وهو المنقول عن جالينوس فقد نقل عنه انه قال في مرضه الذي مات فيه « لا اعلم اذا كانت النفس هي المزاج فينعدم عند الموت فيستحيل عادتها او هي جوهر باق بعد فساد البدن فيمكن المعاد »

«ولذلك ما نرى ان من كان من الناس فرضه الايمان بالظاهر فالتاويل في حقه كفر لانه يؤدي الى الكفر فمن افشاه له من اهل التاويل فقد دعاه الى الكفر والداعي الى الكفر كافر ولهذا يجب ان لا تثبت التاويلات الا في كتب البراهين لانها اذا كانت في كتب البراهين لم يصل اليها الا من هو من اهل البرهان واما اذا ثبتت في غير كتب البرهان واستعمل فيها الطرق الشعرية والخطابية او الجدلية كما يصنعها ابو حامد فخطأ على الشرع وعلى الحكمة وان كان الرجل انما قصد خيراً وذلك انه رام ان يكثر اهل العلم بذلك ولكن كثر بذلك الفساد ليس بدون كثرة اهل العلم وتطرق بذلك قوم الى ثلب الحكمة وقوم الى ثلب الشريعة وقوم الى الجمع بينهما . ويشبه ان يكون هذا احد مقاصده بكتبه . والدليل على انه رام بذلك تنبيه الفطر انه لم يلزم مذهباً من المذاهب في كنيه بل هو مع الاشاعرة اشعري ومع الصوفية صوفي ومع الفلاسفة فيلسوف وحتى انه كما قيل يوماً يمان اذا لاقيت ذا عين وان لقيت معدباً فعدناني»

نقول وكأن الفيلسوف قد خشي ان يؤخذ بما آخذ به الامام الغزالي لبسطه هو نفسه مبادئ الفلسفة والتاويل في كتب تقع بين ايدي العامة كما في هذا الكتاب فقال تبرة لنفسه « ولولا شهرة ذلك عند الناس وشهرة هذه المسائل التي ذكرناها لما استخفنا ان نكتب في ذلك حرفاً لان شأن هذه المسائل ان تذكر في كتب البرهان » ولكن لو عاش الفيلسوف في هذا الزمن ورأى السكك الحديدية التي قربت الابعاد واختصرت المسافات . والصحافة التي هي السكك الحديدية المعنوية الافكار لسرعة نشرها اياها ومزجها بعضها ببعض من جنوبي الكرة الى شمالها ومن شرقها الى غربها لتحقيق ان الطريقة التي اشار بها من ستر وجه الفلسفة عن الفئة الكبرى من البشر طريقة لم تكن الكرة الارضية قادرة على التزامها وقتاً طويلاً

رغبته في وضع كتاب مهم

ثم عاد الى مسألة التاويل التي هي دعامة هذا الكتاب فقال انه اذا وقع اشكال في ظاهر القول الديني ولم يكن ظاهراً بنفسه للجميع وجب « ان يُصرح ويُقال انه متشابه لا بعينه الا الله . وان الوقف يجب هنا في قوله عز وجل : وما يعلم تاويله الا الله . وبمثل هذا ياتي الجواب بالسؤال عن الامور الغامضة التي لا سبيل للجمهور الى فهمها . مثل قوله تعالى : ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلاً » ولذلك « ليس يجب ان تثبت التاويلات الصحيحة في الكتب الجمهورية فضلاً عن

الفاسدة . والتاويل الصحيح هي الامانة التي حملها الانسان وابى ان يحملها واشفق منها جميع الموجودات . اعني المذكورة في قوله تعالى : انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال (الآية)

وهذه التاويلات في الشرع هي التي كانت سبباً في « نشأة فرق الاسلام حتى كفر بعضهم بعضاً وبدع بعضهم بعضاً وبخاصة الفاسد منها » « ومن اتى بعدهم لما استعملوا التاويل قلّ تقواهم وكثر اختلافهم وارتفعت محبتهم » « فيجب على من اراد ان يرفع هذه البدعة عن الشريعة ان يعمد الى الكتاب العزيز فيلنقط منه الاستدلالات الموجودة في شيء مما كلفنا اعتقاده ويمتهد في نظره الى ظاهرها ما امكنه من غير ان يتاول من ذلك شيئاً الا اذا كان التاويل ظاهراً بنفسه اعني ظهوراً مشتركاً للجميع »

وعني الفيلسوف بذلك ان 'يستخرج من القرآن في كتاب خصوصي كل العقائد الواجب الاعتقاد بها من دون تاويل او بتاويل ظاهر اجلي ظهور للخاصة والعامة لتكون اساساً مشتركاً لجميع المسلمين بينون عليه معقدهم بلا نزاع ولا جدال فلا تؤثر فيه مجادلاتهم في التاويلات الاخرى المفهومة والغير المفهومة . قال « وبودنا لو تفرغنا لهذا المقصد وقدرنا عليه . وان انسأ الله في العمر فسنتبث فيه قدر ما يتيسر لنا منه . فعسى ان يكون ذلك مبداءً لمن ياتي بعد . فان النفس في غاية الحزن والتالم مما تحلل هذه الشريعة من الاهواء الفاسدة والاعتقادات المحرفة . وبخاصة ما عرض لها من ذلك من قبل من ينسب نفسه الى الحكمة فان الاذية من الصديق هي « اشد » من الاذية من العدو . اعني ان الحكمة هي صاحبة الشريعة والاخت الرضيعة فالاذية ممن 'ينسب اليها اشد الاذية »

هذا ما راينا تلخيصه من هذا الكتاب للدلالة على مبادئ ابن رشد وعلى منحا في التأليف واسلوبه في المناظرة وقد جمعنا في هذه الخلاصة كل اغراض المؤلف

﴿ الاضطهاد في النصرانية والاسلام ﴾ وهنا تحضرنا مقابلة لا بد منها . وهذه المقابلة هي بين الدين المسيحي والدين الاسلامي من حيث اضطهاد العلماء وتكفيرهم واهانتهم وقتلهم دفاعاً عن عقائدهم . وهذه المقابلة تقتضي سؤالاً وهو : اي كان اكثر تسامحاً وافر تعصباً فيما يختص بالعلم والعلماء : الدين المسيحي ام الدين الاسلامي فنهم من يرى ان الدين المسيحي كان اكثر تسامحاً من الدين الاسلامي . لان بعض علماء النصرانية وكتابها قالوا فيها اقوالاً في منتهى التطرف والغلو والتحامل ومع

ذلك لم يضرهم شيء . اما ابن رشد الذي ادين كل تلك الالهانة فانه لم ينكر شيئاً من اصول الدين كما تقدم ولكنه نظر بعقله في الكائنات وشرح فلسفة لسواء فقامت قيامتهم عليه . فكيف به لو قال في المذهب الاسلامي عشر معشار ما قاله فولتير وديدرو وروسو ورنان في المذهب المسيحي

فيرد عليهم آخرون بقولهم بل ان الدين الاسلامي كان اكثر تسامحاً من الدين المسيحي . فانكم هل رايتم في تاريخ الدين الاسلامي علماء يُحرَقون وهم في قيد الحياة لانهم انكروا ما انكروه كما جرى في ديوان التفتيش في اسبانيا . كلا . وذلك لعدة اسباب . منها اولاً احترامنا العلم وانطباع حبه في نفوسنا ناخذة مع مبادئنا الدينية . وثانياً ان كل من يدخل في مذهبنا يكون اخاً لنا . ونحن نحترم هذا الاخاء فيه اشد احترام ولذلك فاننا اذا اسأنا اليه لانكاره بعض عقائدها فاننا نجعل للاساءة حداً لا نتعداه . فنكفره وننفيه ونغنى كتمه . ولكننا لانسفك دماءه لاننا نحترم اخاءه

فيرد عليهم الاولون بقولهم : هل يجب ان يكون التسامح مع القريب فقط ام مع القريب والغريب معاً . ثم الا تذكرون الحروب والفتن التي قامت بين شعوب المسلمين وحكامهم بسبب الاعتقادات الدينية فاضعت امتهم وفرفت كلمتهم . فهل يجوز ان تسموا محاربة شخص واحد واعدامه « محاربة للانسانية » ولا تسموا كذلك محاربة شعب لشعب وامة لامة .

اما نحن فلا نفصل بين هذين القولين ولكننا ننظر الى هذه المسألة من وجه آخر . وذلك اننا نرى ان السلطة المدنية في الاسلام مقرونة بالسلطة الدينية بحكم الشرع لان الحاكم العام هو حاكم وخليفة معاً . وبناءً على ذلك فان التسامح يكون في هذه الطريقة اصعب منه في الطريقة المسيحية . فان الديانة المسيحية قد فصلت بين السلطتين فصلاً بديعاً مهد للعالم سبيل الحضارة الحقيقية والتقدم الحقيقي وذلك بكلمة واحدة وهي « اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » وبناءً على ذلك فان السلطة المدنية في هذه الطريقة اذا تركت للسلطة الدينية مجالاً للضغط على حرية الافراد من اجل اعتقاداتهم الخصوصية فضلاً عن قتلهم وسقي الارض بدمائهم البريئة فانها تجني جنابة هائلة على الانسانية . وعلى ذلك لا يكون في هذه الطريقة من التسامح اكثر مما في تلك اذا بدا منها نقص ولو كان هذا النقص اخف من نقص شقيقتها . لانه لا نقص اعظم من نقص القادر على التمام

وهناك اعتبار آخر . وهو أن العلم والفلسفة قد تمكنا الى الآن من التغلب على الاضطهاد المسيحي ولذلك نما غرسها في تربة اوربا وانبثقت واثمر التمدن الحديث . ولكنها لم يتمكنا من التغلب على الاضطهاد الاسلامي وفي ذلك دليل واقعي على ان النصرانية كانت اكثر تسامحا مع الفلسفة

﴿ الفلسفة بعد ابن رشد و اخلاقه ﴾ وهذا الراي يسوقنا الى الكلام عن الفلسفة عند العرب بعد ابن رشد . فنقول باختصار انه كان من المنتظر بعد ظهور ابن رشد في الاندلس ان يقوم بعده نوابغ من بني قومه يتوسعون في الدروس الفلسفية وينتفعون بالشروح التي وضعها ابن رشد على ارسطو وبذلك يكملون الحركة الاجتماعية والفلسفية ويقومون مقام فلاسفة الافرنج الذين جاؤا بعدهم فاخذوا عنهم وكلومما . وانما كان ذلك منتظرا لانه من الصعب على العقل البشري ان يصدق ان تلك البزور الفلسفية التي برزها هذا الفيلسوف تجف ذلك الجفاف في التربة الاندلسية وتحتق هذا الاختناق

ومع ذلك فقد جفت واخثقت . جفت واخثقت لان شبهة الكفر كانت تقع بعد ابن رشد على كل مشتغل بالفلسفة . وبناء على ذلك انصرف العقول عن صناعة الحكمة ولم يبق بعد ابن رشد فيلسوف كبير مثله ليكمل عمله

على ان تلامذة ابن رشد الذين نشروا مبادئه بعده وترجموا كتبه الى العبرانية واللاتينية كانوا اكثرهم من اليهود والنصارى . ولقد انتشر في اوربا مذهب ابن رشد في ذلك الزمان انتشارا عظيما حتى اضطر احد البابوات ان يحرم من الكنيسة كل من يعتقد بمذهب ابن رشد في الفلسفة

بقي ان نذكر شيئا عن اخلاق هذا الفيلسوف . فنقول انه كان لطيفا عفيفا ميالا للعزلة منقطعاً الى الدرس والمطالعة . واليك منه عبارة تدل على مبلغ شغفه بالدرس والتأليف . قال « ان الدين الخاص بالفلاسفة هو درس الوجود والكائنات (١) ذلك ان اشرف عبادة تقدم لله تعالى هي معرفة مخلوقاته ومصنوعاته لان ذلك بمثابة معرفته . هذا اشرف الاعمال التي يرضى الله عنها في حين ان اقبح الاعمال عمل من بكفر ويخطىء الذين يقدمون لله هذه العبادة التي هي خير العبادات ويتقربون منه بهذه الديانة التي هي خير الديانات »

(١) وفي الحديث نقلاً عن العاملي « لا يكمل ايمان المرء حتى يكون ان لا يعرف

احب اليه من ان يعرف »

وكان بسيط المعيشة منقشفاً في حياته كارهاً للظلم . ولقد تولى القضاء سنوات عديدة دون ان يحكم قط بالاعدام على احد من الذين حوكموا لديه . بل انه كان حين وجوب الحكم بالاعدام يتنازل عن ذلك حينئذ لسواه فكانه يفر من الدماء لكي لا تقع في عنقه

**

* هل مذهب ابن رشد صحيح * هذا ما رأينا ذكره عن ابن رشد ولقد آت ان نختم هذه المقالة لانها قد طالت ومع ذلك فقد رأيناها قصيرة ونحن نكتبها لان القلم لوملاً كل صفحات هذا الجزء عن هذا الفيلسوف لما اروي غليله

ولكن قبل الختام لا بد ان يحضر القارئ سؤال وهو : هل مذهب هذا الفيلسوف صحيح ؟ فالجواب عن ذلك ان القارئ يخطئ اذا كان يسأل عن صحة كل مذهب من مذاهب الفلاسفة او عن فسادهم . فان لكل واحد من الفلاسفة الذين يقفون حياتهم للبحث في ما وراء الطبيعة مذهباً خاصاً وفلسفة خاصة يناقضان مذهب الآخر وفلسفته . فمثلهم في ذلك مثل قوم يجلسون على شاطئ البحر ياخذون في بناء بيوت من الرمل والصخر والحجارة التي على الشاطئ . ولذلك تجد في بناء كل واحد منهم رملاً وصخراً : اي ضعفاً وقوة . وذلك اما لان الحقيقة المحجبة قد آلت على نفسها ان تبقى محجوبة عن ارض فيها ما في ارضنا من الصغائر والدنايا او ان العقل البشري خلق محدوداً وما كان محدوداً لا يجد ما لا حد له . ولذلك نقول مع الشاعر دون ان نشاركه بما في قوله من الاحتقار للفلسفة لان العجز لا يوجب الاحتقار :

تساء الانام بسكرهم فلذاك صاحي القوم عربد
تالله لا مومى الكليم ولا المسيح ولا محمد
كلا ولا جبريل وهو الى محل القدس يصعد
علموا ولا النفس البسيطة لا ولا العقل المجرد
من كنهه ذاتك غير انك اوحدي الذات سرمد
فليخسأ الحكماء عن حرم له الاملاك متجد
من انت يارسطو ومن افلاطون قبلك يا مبلد
ومن ابن سينا حين هذ ب ما اتيت به وشيد
ما انتم الا الفوا ش راى السراج وقد توقد
فدنا فاحرق نفسه ولو اهتدى رشداً لا بعد

المقالات

نشر في هذا الباب كل ما تهتم مطالعته من المقالات الفلسفية والعلمية والادبية والتاريخية والعمرانية ما لا بدخل في باقي ابواب المجلة ويكون جامعاً لطلاوة المجدد وفوائد المنيد

تاريخ الرسل بعد السيد المسيح

✽ ملخص مما كتبه الفيلسوف رنان ✽

وفيه تاريخ اعمال الرسل بعد السيد المسيح وتفصيل انشاء التلامذة الكنيسة الاولى في اورشليم وتفرقهم بعد ذلك في المسكونة لنشر ديانهم المجددة . ويختل ذلك وصف حالة مصر وسوريا وفلسطين في ذلك الزمان وعلاقتها بالامبراطورية الرومانية وخراب اورشليم وتشتت الاسرائيليين وسقوط الدولة الرومانية . ولا خلاف في ان تاريخ هذه الحركة انما هو تاريخ اعظم حركة اجناعية وسياسية حدثت في العالم

عودة الرسل الى الجليل بعد صلب السيد

اول ما يقصده كل من فقد عزيزاً كريماً زيارة الاماكن التي عاش فيها معه . ولذلك اتجه التلامذة نحو الجليل بعد عيد الفصح ببضعة ايام (١) فكان الديانة المسيحية عادت في هذا الوقت مع التلامذة الى الارض التي نبتت فيها لتودعها هنيئة ثم تعود فتنتشر في اكرة الارضية

وهكذا التقي مرة ثانية اخص تلامذة السيد وهم بطرس وتوما وثنائيل وابنا زبده على شاطئ بحيرة طبرية وعاشوا معاً وعادوا الى صناعة صيد السمك في بيت صيدا وكفر ناحوم كما كانوا من قبل . وقد عادت النسوة الجليليات الى الجليل معهن . بل هن اللواتي حملنهم على هذه العودة لميلهن الى الوطن الاول الذي شاهدن فيه ما شاهدن من الحوادث الجميلة . وهذا آخر عمل عملته في تاسيس الديانة المسيحية . ومنذ هذا الحين لم يعد يظهر

(١) وهناك سبب آخر وهو ما جاء في الانجيل من ان السيد سبق التلامذة

الى الجليل

لهن^١ اثر في تاريخ المسيحية لانهن كرهن مفارقة تلك البلاد التي دفن فيها اعظم المسرات . وهكذا وضع ذكرهن منذ ذلك الحين في زاوية النسيان . وبما ان المسيحية في بلاد الجليل لم تقم لها بعد ذلك قائمة فقد نقصت اهمية هؤلاء النسوة اللواتي كان لهن الفضل العظيم في تاسيس الديانة المسيحية وفي ذكرهن في بعض التقاليد . وبناء عليه لم تبق مريم المجدلية ومريم كليوفاس وحنه وسوسان — هؤلاء الجليليات اللواتي يجب ان يعتبرن المؤسسات الحقيقية للدين المسيحي — الا كقديسات صغيرات لا شان لهن . فان القديس بولس لا يعرفن (١) وقد بقين هكذا حتى القرون المتوسطة . فيومئذ استرددن المنزل التي لهن وصار لمريم المجدلية في سماء المسيحية ذلك المقام الرفيع الذي كان من حقها

وكان التلامذة يعيشون يومئذ في الجليل كاخوة وقد اجتمع حولهم نحو خمس مئة نفس من الجليليين الذين كانوا عرفوا السيد وانجذبوا الى تعليمه . فاقاموا في تلك البلاد نحو سنة وهم يعيشون اجمل عيشة لان روح السيد كانت تزورهم وتظهر لهم . فكانت حياتهم هذه عبارة عن تصورات جميلة دائمة لا تحول ولا تزول

عودتهم الى اورشليم لانشاء الكنيسة الاولى

وبعد اقامة الرسل سنة في بلاد الجليل كما تقدم راموا العودة الى اورشليم لان السيد امرهم بان ينتشروا في الارض للبشارة بالكلمة في جميع الاقطار . وكانت اورشليم اول هذه الاقطار بالطبع . فساروا اليها وهجروا وطنهم الجليل هجرة لا رجوع بعدها اليه . ولا خلاف في انه قد بقي بعد ذلك في الجليل كثيرون من اتباع الرسل ولكن لم يرد لهم ذكر فيها بعد . فغير بعيد ان يكونوا قد فثت آثارهم في تلك البلاد كما فني فيها كل شيء في الحرب التي اثارها فيها اسباسيانوس الروماني . ومن المعلوم ان الطوائف التي كانت تعيش في تلك البلاد قد لجأت بعد هذه الحرب الى ما وراء نهر الاردن . فلما سكنت رحي هذه الحرب امتنع المسيحيون من العودة اليها وعاد اليها اليهود فقط . وهكذا صارت

(١) قال الرسول بولس عن السيد المسيح في الاصحاح ١٥ العدد ٥ من رسالته الى كورنثوس « انه ظهر لصفاء ثم لاثني عشر وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمس مئة اخ » وبذلك اغفل الرسول ذكر مريم المجدلية وباقي النسوة اللواتي جاءن في الانجيل انهن كن اول من شاهدن . وهو اجحاف بحقوق النساء

الجليل في القرن الثاني والثالث والرابع عبارة عن مركز اليهودية ووطن التلمود . وبناء على ذلك لم تدخل الجليل في تاريخ الديانة المسيحية الا زمناً محدوداً . ولكن هذا الزمن كان اقدس الازمان واعظمها . ذلك لان جمال الدين المسيحي وقوته وسنائه اعني « الانجيل » لم تبرز الى الوجود الا في هذا الزمن . فالانجيل اذاً من اصل جليلي . وسبرد الكلام على ان الانجيل كان السبب الاول في نجاح الديانة المسيحية في الماضي وسيكون الضمانة الوثيقة لها في الزمن الآتي

الصعود

وبعد اجتماع التلامذة في اورشليم شهدوا صعود السيد . وقد قال لوقا الانجيلي في ذلك « وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وصعد الى السماء فسجدوا له ورجعوا الى اورشليم بفرح عظيم »

اما نحن فاننا نفارق السيد بحزن عظيم . نفارقه هنا ونودعه لنذكر تاريخ تلامذته . ولقد كانت في حياته الثانية هذه جمال وسناء يعزي النفس ويجعلها تشعر بقربها من ذلك الذي كان مثلاً للجمال والسناء وان كانت هذه الحياة انما هي في الحقيقة صورة الاولى . وحزننا الآن عظيم لاننا حرماننا ذلك العرف الطيب الذي كان ينتشر من شخصه ونفسه . لقد صعد على الغمامة الى يمين ابيه وتركنا مع جماعة من البشر لم كل صفات البشر . فما اصعب هذا السقوط . وما اشد البعد بين امس واليوم . يا ايها السماء لقد ذهب ملك الجمال والسناء فاندبى هذا المملك المفقود . انظري لقد ازوت مريم المجدلية سيففريتها لتدفن فيها تذكاراتها الجميلة . لقد بطلت الخطب على الجبل وبطل شفاء المجانين ومداداة المرضى . لقد ذهب مؤسس ديانة الحق والروح . وسيكون تاريخ هذه الديانة بعده تاريخاً لا يعتمد اهلها عن المبادئ الابدية الازلية التي وضعها مؤسسها فيها . ومع ذلك فان هذا التاريخ مهما طرأ عليه فانه يبقى تسييحاً عظيماً لمجد ذلك المؤسس العظيم . ذلك لان صورة هذا الابن الصالح وكلامه الحي سيدقيان في وسط صفائر الامور وهناتها بمنزلة صورة للكمال الرفيع الذي لا يبلغ طرف الانسان حده

التلامذة والاهل

وكان يومئذ عدد التلامذة واتباعهم في اورشليم نحو مئة و ٢٠ شخصاً . وكانوا كثيري

التقوى وانما كانت تقوam شبيهة بتقوى اليهود . وكانوا يصلون ويقدمون العبادة في كل يوم في هيكل اليهود نفسه . وكانوا يشتغلون بشغل صناعي ليعيشوا من ثمار شغلهم . وكان في يد كل واحد منهم صناعة خصوصية ولكن هذه الصناعة لم تكن تحول بينهم وبين فراغ الوقت والاستراحة فيه . ذلك لان الشغل القليل كان كافياً لسد حاجات كل واحد منهم كما هي الحالة في الشرق ولذلك كان يبقى لهم كثير من الفراغ في اوقاتهم خلافاً للعملة الاوربيين الذين يعملون ١٢ او ١٥ ساعة في كل يوم

وبناء عليه كان التلامذة واتباعها يشتغلون في قسم من الوقت ويعملون فساً منه للتأمل والبحث والصلاة واثارة الهوى الروحاني في نفوسهم . وكان هذا الهوى قد بلغ فيهم يومئذ اشد . وكل من قرأ « حروب اليهود » التي كتبها يوسفوس يجد فيها ان كل واحد من الشعب الاسرائيلي كان يومئذ بطيع كالاعمى كل ما يقوم في نفسه ويستولي عليه من العواطف والافكار . فغضاله حين الحدة مجنوناً حقيقاً

اللغات والانجيل وتعميم الصلاح

اما مسألة تعدد اللغات ومعرفة الرسل بها كلها في يوم الروح القدس فربما كان فيها فكر يحتاج الى نظر . ذلك ان الاسرائيليين كانوا يعتبرون لغتهم « لغة مقدسة » وكانوا يحفظونها اشد حفظ . واذا ترجمت التوراة منها الى لغة غريبة لم يعشوا بالترجمة حتى ولو تصرف بها صاحبها كما كان يقع ذلك احياناً وانما كانوا يصنون اصلها العبراني اشد صيانة . ولكن هذا الامر كان مقصوراً على يهود فلسطين وسوريا فقط . اما يهود مصر واليونانيون الذين اعتنقوا اليهودية في فلسطين فانهم كانوا يصآون باللغة اليونانية ويطالعون التوراة بها ايضاً . ومع ذلك فانهم لم يصلوا في التسامح والتساهل الى الحد الذي وصل اليه المسيحيون يومئذ . فانه كان مشهوراً بين اليهود ان المسيح اذا جاء فانه يجمع كل لغات العالم كناية عن جمع كلمتهم والتوفيق بينهم . وهذا سبب انفصال المسيحيين الاولين عن اخوانهم اليهود في هذه المسألة وعدم اقتصارهم على اللغة العبرانية . بل هنالك سبب آخر . وهو معرفتهم ان الانجيل لم يرسل الى شعب واحد بل الى جميع الشعوب والامم . ولذلك كانوا يقولون انه اذا ترجم من اي لغة الى اي لغة اخرى كانت الترجمة طبقاً للاصل لسهولة مبادئه وقواعده . وهذه هي الخطوة الاولى التي خطاها العالم لتعميم الفضائل ومبادي الهدوء والسلام والامن بين امم المختلفة

التحسس والتقصيف وقوله في الشرقيين .

ولقد ذكرنا فيما تقدم ان التلامذة كانوا يعيشون معاً باخاء تام . ونزيد الآن على الاخاء مسألة التجرد والتقصيف والصلاة والبكاء . اما التجرد فنريد به ما يقصده المنصوفة وهو هنا تحسس النفس الى درجة تتجاوز حدود الطبيعة حتى انها قد تحال نفسها انها طرحت الجسم جانباً وتجردت منه لتطلب المصدر الاعلى الذي صدرت عنه . وفي هذه الحالة التي يبلغ فيها التحسس اشده ينطق الانسان باقوال مختلفة بعضها ذو معنى وبعضها لا معنى له في الظاهر . واما التقصيف فالمراد به الصوم والافتقار على القليل الضروري من الطعام لان الغرض قيام الجسم فقط . والغرض المقصود من التقصيف مساعدة النفس على البقاء على حالة التحسس والتجرد التي تقدم ذكرها لان ذلك من خواص قلة الاكل . وقلة الاكل عادة شائعة عند اكثر الشرقيين (كذا) . واذا كانت فناعة السوروي فيما يختص بالماكل سبباً من اسباب ضعفه الطبيعي (كذا) فهي ايضاً سبب في جعله في هياج وانفعال عصبي دائم . ولا ريب اننا نحن معاصر الاوربيين لا نستطيع ان نعمل اعمالنا العقلية الدائمة اذا كانت مقرونة بهذه الفناعة فيما يختص بالماكل لان العمل الكثير يقتضي الغذاء الكثير . على ان هذا الضعف الظاهر في دماغ الشرقي وعضلاته من شأنه ان يثير في نفسه دائماً عواطف الحزن والفرح على التتابع . وهذه العواطف تجعله متجهماً دائماً الى الله ومتصلاً به . وهذا ما كانوا يسمونه « الحزن الساوي » ويعتبرونه موهبة من الساء

البكاء صلاة

وبناء على ذلك فان المواهب السامية التي كانت للاولين انما هي عبارة عن اكرم عواطف النفس واجمل حركاتها كالحمية والتقوى والخوف باحترام والتعهد والحزن الفجائي من غير سبب والحنو وكل ما يقوم في نفس الانسان من خير وصلاح وجمال . وكانت الدموع ايضاً موهبة ونعمة سامية . وهي في الحقيقة موهبة لانها خاصة بالنفوس الممتازة المطبوعة على الطهارة والصلاح . وكانت هذه العادة عادة البكاء كثيرة الوقوع بينهم في ذلك الزمن . وكان اصحابها وخصوصاً النساء يجدون فيها تعزية وفرحاً . بل ان هذه العادة كانت للنساء بمنزلة الصلاة للرجال اي انها كانت صلاة النساء . فيومئذ تحقق ما قيل من انهم كانوا يزرعون بكاءً ويحصدون فرحاً . وعلى ذلك صار البكاء عبارة عن عمل من اعمال التقوى . واذا كان احد منهم لا يقدر على الوعظ ولا النطق باللغات المختلفة ولا صنع العجايب فانه كان

يجعل البكاء شانه . وبناء عليه فانهم كانوا ييكون في الصلاة والوعظ والتعليم . وكان السلطان يومئذ سلطان الدموع . فكأن النفوس امتزجت يومئذ امتزاجاً شديداً ولما لم تجد لغة تعبر بها عما في نفسها من العواطف الغريبة ذابت وسالت من المهاجر فكانت دموعها لغة عامة جديدة

الاشتراكية في المسيحية

وكان التلامذة واتباعهم يسكنون حياً واحداً في اورشليم . ولم يكن احد منهم يملك شيئاً بل كانوا كلهم يبيعون ما يملكونه ويدفعون ثمنه الى صندوق الطائفة . وكان رؤساء هذه الطائفة اي التلامذة الرسل يوزعون عليها من المال المشترك كل على قدر حاجته . وكانوا يتناولون الطعام جماعة واحدة اي في مكان واحد ويعملون على المائدة الحركة الرمزية التي عملها السيد في العشاء السري . وكانوا يصرفون ساعات عديدة في الصلاة وكانوا احياناً يرتجلون الصلاة ارتجالاً بصوت جهوري واحياناً كانوا يستعدون لها . وكان الوفاق تاماً بينهم وكلهم يعيشون بقلب واحد ونفس واحدة . ولم يكن للجدال الديني ولا للنفاضل قط مجال للدخول اليهم . ذلك لان تذكار السيد كان لا يزال جديداً في نفوسهم فكانت صورته تطرد منها كل خلاف ونزاع . وهكذا صرفت الطائفة المسيحية على هذا النمط سنتين او ثلاثاً كانت معيشتها فيها عبارة عن فردوس ارضي تطلبه المسيحية منذ قرون كثيرة فلا تجده وليس لها رجوع اليه . وهذه المعيشة المشتركة لم تعجد بعد الطائفة الاولى الا في الديور على ايدي النساك والرهبان

ومنهم من يعترض على هذا الاشتراك بقوله انه لم يحدث في زمن الطائفة الاولى بل ان كاتب « اعمال الرسل » قد بالغ فيه لانه من انصار الابوينيين اي حزب الفقر والفقراء في الدين المسيحي . ولكن هذا القول مردود بان الوثنيين كانوا يعتبرون الطوائف المسيحية حتى بعد نشأتها بقرنين طوائف اشتراكية كما روى لوسيانوس . واذا كان في ذلك شيء من المبالغة فما لا ريب فيه انه كان في اورشليم في الازمنة الاولى طائفة عديدة من الفقراء المسيحيين يدبر الرسل شؤونهم وناتيمهم الاعانات من جميع الاقطار التي انتشرت فيها الديانة المسيحية . وقد اقتضت ادارة هذه الطائفة شيئاً من الصرامة ولذلك كان يقال ان كل واحد يخفي من ماله شيئاً عن الطائفة فجزاؤه عقاب الموت من الله

التلامذة في الهيكل

وكان التلامذة يجتمعون في النهار في اروقة الهيكل وخصوصاً في رواق سليمان . فكانوا يجدون هنالك تذكارات الايام التي صرفها السيد معهم في ذلك المكان . وكانت اروقة الهيكل محطاً لرحال كثير من النحل واصحاب المذاهب اليهودية المختلفة . فكان التلامذة يقدون على الهيكل معهم وقيمون بجانبهم . وكان الشعب يحبهم لبساطتهم وثقواهم ووداعتهم . ولكن اكابر رجال الهيكل كانوا يكرهونهم . وكان التلامذة يصلون يومئذ مع اليهود في الاوقات المعينة ويحفظون كل قواعد الناموس . فكان شأنهم شأن اليهود ولم يكونوا يختلفون عنهم الا باعتقادهم ان المسيح الذي كان اليهود ينظرونه قد جاء الى العالم . ولم يكن الانضمام اليهم خرقاً للشريعة اليهودية في نظر اليهود بل كان المنضم اليهم يومئذ يجوز ان يحسب نفسه يهودياً . وبالجملة فان الطائفة لم تكن قد ظهرت بعد ولم يكن لها شيء من الاهمية

الديموقراطية والارستوقراطية في الكنيسة

وكان للتلامذة الذين اختارهم السيد سلطة عظيمة على الطائفة . فلما اطمان بهم في اورشليم خطر لهم اكمال عددهم وذلك بانتخاب تلميذ مكان يهوذا الاسخريوطي الذي كان قد ترك الطائفة . وقد جعلوا الانتخاب سرياً بالقرعة . وكان المرشح له رجلين واحد يدعى يوسف برسابا والثاني متيا . فاصابت القرعة متيا فانضم الى الاحد عشر تلميذاً . وكان هذا الانتخاب آخر انتخاب جرى للتلامذة لانهم اعتبروا ان اختيار الناس وارسالهم للبشر مزية خص بها يسوع الرسل الاولين دون سواهم . وبذلك ابعد التلامذة عن الطائفة خطراً وقعت فيه بعد ذلك وهو قيام طبقة دائمة السلطة شديدة الوطأة تحول مبادئ الطائفة الديموقراطية الى مبادئ ارستوقراطية

ولم يكن يومئذ قد نشأ في الطائفة ذلك الامتياز الاكلييريكي الذي وضع اساسه بعد ذلك . نعم ان الرسول بولس يسمي الرسل في بعض رسائله « اعمدة كنيسة اورشليم » ولكن هذه التسمية كانت في القول لا في الفعل . ولقد تقدم الكلام في تاريخ المسيح ان مبدء العزوبة قد وضع في حياة السيد ومع ذلك فقد كان بطرس وفيلبس متزوجين وكان لهما بنون وبنات . وكان اجتماعهم يدعى في اللغة العبرانية « كاهال » وقد ترجموها

باللغة اليونانية « اكليزيا » ومعنى اكليزيا دعوة الشعب الى الاجتماع كما كان ذلك يقع في المدن اليونانية القديمة . ومن ذلك يظهر ان الكلمات الديمقراطية التي وضعها اثينا في القرن الثاني والثالث قبل الميلاد المسيحي قد دخلت في ذلك الزمن في اللغة اليونانية وصارت مشتركة بين جميع الامم التي تتكلم هذه اللغة . ولما قامت المسيحية اخذت منها كثيراً من ذلك . وفي الحقيقة ان المسيحية انما هي عبارة عن حركة شعبية فيها السلطة للشعب كما كانت الحال في اثينا . ومن جملة ما اخذته المسيحية عن الديمقراطية اليونانية القديمة مسألة الانتخاب بالاقتراع السري وهي الطريقة التي كانت متبعة في جمهورية اثينا . ولكن المسيحية كانت اكثر تسامحاً من الهيئات الاجتماعية القديمة من حيث بذل سلطتها لرجال منها يدبرون شؤونها من غير حسد ولا سوء ظن . ذلك ان الكنيسة كانت تعتبر رؤساءها بالطبع حكاماً من قبل الله ولذلك لا عجب اذا استسلمت اليهم والقت سلطتها بين ايديهم . وبناء عليه كان سهلاً على الناقد البصير ان يرى منذ ذلك الزمن مجيء الوقت الذي تحول فيه الديمقراطية المسيحية الى هيئة فيها السلطة محصورة بين جماعات وايدٍ قليلة

التلامذة والنسوة

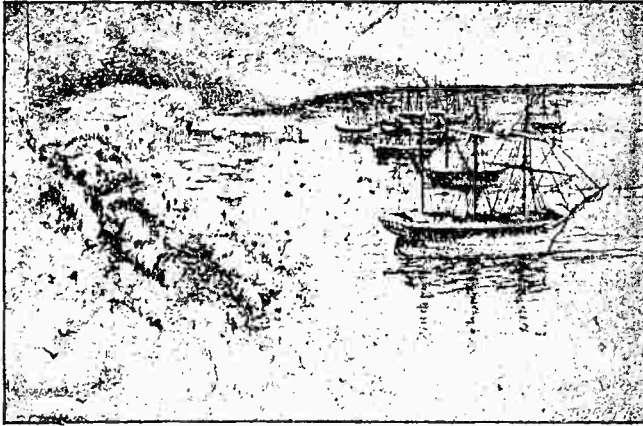
وكان لبطرس بين التلامذة شيء من الامتياز والتقدم سببه غيرته ونشاطه . وكان في هذه السنوات الاولى مرافقاً على الدوام يوحنا بن زبده فكانا يسيران معاً دائماً . وكان اتفاقهما هذا الاتفاق بمثابة اساس الايمان الجديد والطائفة الجديدة . اما يعقوب اخو السيد فقد كانت سلطته مساوية لسلطتها وخصوصاً في احد اجزاء الكنيسة . واما بعض انصار السيد الآخرين كالنساء الجليليات وعائلة بيت عنيا فلم يرد لهم ذكر في هذا الزمن . اما هو لاء النسوة فقد كنّ منزويات في اما كنهن ينتظرن مع المنتظرين قدوم ملكوت الله ويذكرن الزمن الماضي . ولذلك لم يكن لهن ثم في التأسيس والانشاء . ولما توفاهن الله اليه نزل معهن الى اللحد اجل شيء في تاريخ الديانة المسيحية الجديدة . ولكن لم يدر جهن احد ولا كان لهن شيء من الاهمية بالنسبة الى التلامذة في اورشليم . ذلك لان الشهرة لا تكون للعاملين . اما الذين يكتفون بالجلوس في زاوية والحب فيها بسكوت وهدوء فانهم يبقون خاملين مجهولين . ولكن لا ريب في ان لهم افضل نصيب البقية تأتي

بركان يخرب مدينة ويقتل سكانها

﴿ في دقيقة واحدة ﴾

(والاقوال العلمية المتعددة في اسباب هيجان البراكين)

بين اميركا الجنوبية واميركا الشمالية جزائر متعددة يسمونها « ارخبيل الانثيل » . وهذه الجزائر منها كبيرة ومنها صغيرة . فالكبيرة هي كوبا التي يعتبرونها درة بحر الانثيل وهاتي والجمامايك وبورتوريكو . والصغيرة اهمها كوادلوب والمريتيك وبارباد وتاباكو وسان مرتين وغرناطة وديزيراد وماريغالانت وسنت فنسنت وغيرها . ولقد كانت هذه الجزائر تابعة قديماً للسلطنة الاسبانية الواسعة ثم صار اكثرها الى انكلترا وفرنسا والولايات المتحدة



﴿ مدينة كانت بالامس . واليوم كانها لم تكن ﴾

منظر مدينة (سان بيير) بعد ان خربها البركان . والسفن التي اغرقها في مينائها

بحكم الفتح والقوة . والذي يهمننا في هذا الفصل من هذه الجزائر الكبيرة والصغيرة جزيرة المريتيك الفرنسية وجزيرة سنت فنسنت الانكليزية لانه حدث في الشهر الماضي فيها ولا سيما في الاولى منها حادث مفرد في تاريخ الانسانية
﴿ حادثة مفردة في تاريخ الانسانية ﴾ وان قيل ان البركان يزوف قد ثار في



خريطة جزيرة المارتينيك الفرنسية

موقع مدينة (سان بيير) بجانب المربع المستطيل في غربها
وموقع البركان في مربع في طرفها الشمالي

إيطاليا في سنة ٧٩ قبل الميلاد وخرب مدينتي بومباي وهر كولا نيوم وطمرها تحت رماده وحجمه كما فصلت الجامعة ذلك في سنتها الثانية وان حادثة بركان بيله في المارتينيك ليست مفردة في التاريخ قلنا ان بركان يزوف لم يقتل من سكان بومباي حين ثورانه سوى الف نفس وكان تخريبه هذه المدينة وطمره اياها بالرماد في مدة طويلة تسنى للسكان في اثنائها الفرار من الخطر . واما بركان بيله في جزيرة المارتينيك فانه قذف من فوهته على مدينة سان بيير التي هي ثانية مدينها موجة هائلة من الحجارة والوحل والغازات السامة تغرب هذه المدينة كبح البصر وقتل نحو ٤٠ ألفاً من سكانها في اقل من دقيقة واحدة . ولم يسلم من جميع السكان الا نفر قليل . ثم ثار عليها مرة اخرى بعد قتل السكان فدرس خرائبها درساً بالحجارة التي قذفها عليها



* منظر بركان يبله من قريب *

* الاسباب العلمية لهيجان البراكين * ولا حاجة الآن الى تفصيل هذه الحادثة التي ارتعدت لها فرائض الانسانية فقد روت جرائد الاخبار هذا التفصيل . وانما اردنا في هذا الفصل ان نطبع صورة البركان الذي احدث هذا الحدث الهائل مع رسم المدينة التي كانت بالامس عامرة فاصبحت الآن اخرية تحت انقاضها اجسام الوف من السكان الاوربيين والزنوج . ونضم الى ذلك تفصيل الاقوال في اسباب هيجان البراكين وقبل كل قول نقول ان العلماء لم يتفقوا الى اليوم على هذه الاسباب . ولهم في ذلك ستة آراء او سبعة واليك بيانها

الراي الاول — من المعلوم ان في جوف الارض حرارة شديدة تصهر المعادن والحجارة . فيقول بعض علماء الجيولوجيا ان البركان انما هو شبيه بزجاجة من الغاز وزه (المياه الغازية) فاذا انفتحت في داخله ثغرة على المواد المصهورة ثارت هذه المواد بقوة هائلة تطلب سطح الارض كما ثور المياه الغازية في الزجاجة حين فتحها

الراي الثاني — واما غيرهم فيقولون ان المواد المصهورة في باطن الارض غير منتشرة في جميع الاماكن حول قشرة الارض بل هي محصورة في جهات قليلة . وقد يتفق ان تكثر عند هذه المواد الابخرة والغازات المتصاعدة عنها فتنفق سطح الارض وتندفق منه

الراي الثالث — وهناك راي ثالث وهو ان باطن الارض مصهور اي ذائب وحوله



﴿ احد شوارع المدينة قبل خرابها بجحارة البركان ﴾

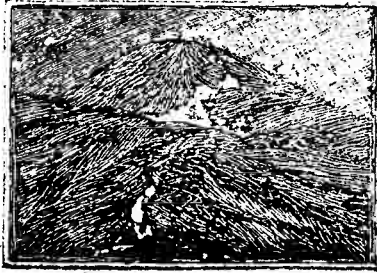
قشرة تحيط به من كل جانب وهي القشرة التي نعيش فوقها الآن . وبما ان الارض آخذة في البرود شيئاً فشيئاً فكما برد شيء من جوفها الحامي ومس القشرة الباردة حدث ضغط على ذلك الجوف شبيه بالضغط الذي يحصل من قبض اليد على قطعة من الليمون . وحينئذ ينعصر ذلك الجوف ويخرج منه بقوة العصر ما يخرج من البراكين

الراي الرابع — واما الراي الرابع فهو قولهم ان بعض المواد المصهورة في باطن الارض اذا امتزج بعضها ببعض ثارت بتكوينها الكيماوي ثورة شديدة تفتق الارض وتخرج منها الراي الخامس — ان المياه التي تجري تحت سطح الارض قريباً منه تدخل احياناً الى جوف الارض فتتبخر هناك بالحرارة تبخراً شديداً يفجر قشرة الارض كما يفجر البخار المائي الآلة البخارية

الراي السادس — ان باطن الارض مصهور ومواده الذائبة مشتركة بين جميع البراكين . فاذا حدث في الصخور على سطح الارض تغيير يقلب موازنتها حدث ضغط جديد على تلك المواد الباطنية الذائبة فتندفع وتفتق قشرة الارض

الراي السابع — واما الراي السابع فهو ان القمر والشمس يجذبان كرتنا الارضية ويجذبان منها كما هو معلوم . وبما ان باطن الارض ذائب فالمواد الذائبة تطاوع قوة جذب القمر والشمس اي تميل للانجذاب الى جهتهما . وبناء على ذلك يكثر في هذه المواد انتقالها من شكل الى

شكل وذلك مما يؤثر في قشرة الارض التي تحيط بتلك المواد ويجعلها معرضة للانفتاق اذا ظهر اقل ضعف فيها



* معرفة الانفجار قبل حدوثه *

هذه هي اقوال علماء الجيولوجيا في اسباب هيجان البراكين . وما يحسن ذكره هنا ان الارض قد انذرت ابناءها قبل حدوث هذا الحادث فلم ينتبهوا . وقد قيل : من انذر فقد اعذر . وبيان ذلك ان الارض زلزلت في شماخه في القوقاس قبل ثوران بركان بيله باشهر فغربت الزلزلة كثيراً من المنازل . ثم زلزلت منذ مدة

* بركان يزوف *

الذي عاد الى التدخين في هذا الشهر ايضا

في جهات اسبانيا وعلى شواطئ البحر المتوسط . ومن المشهور لدى العلماء انه متى زلزلت ارض اسبانيا تحركت براكين الانتيل لما بينهما من الصلات في جوف الارض . ولا دليل على قرب ثوران البراكين غير هذه الدلائل القياسية

اما بركان جزيرة سنت فنسنت الانكليزية فقد ثار ايضا ثوران رقيقه في المرتينيك ولكنه لم يقتل سوى التي نفس . وكان بركان يزوف في ايطاليا قد غار في هذا الشهر من رقيقه فاخذ يدخن ايضا . وهنا نختم هذا الفصل بما ذكرناه في السنة الاولى في ختام مقالة عن هذا البركان ودفعه في سنة ٧٩ للميلاد ثلاث مدن رومانيات تحت رماده وحممه . وهذا نصه :

« ولا يسعنا اختتام الكلام في هذا الشان دون التامل في تلك الارواح البشرية التي هلكت اختناقاً بين الردم وتحت الرماد والحجارة الحامية . نتأمل في ذلك فنظهر لنا الطبيعة في اشد مظاهرها رهبة ومهابة وتبدو نواويسها قاسية شديدة لا ترحم ضعيفاً ولا تخاف قوياً . ويقتل لنا هذا العالم وحشاً هائلاً ذا ملايين من الروءوس والايدي يسير في فضاء الكون الى غرض معلوم لديه لا يهمه ضحك الضاحكين وبكاء الباكين . بل كل ذلك لديه هباء منثور ذاهب في الهواء . فما اقسى هذه النواويس احياناً . وما اعد لها احياناً »

الدين والعلم

﴿ رأي الفيلسوف سبنسر فيها ﴾

لحضره الكاتب الفاضل اسعد افندي باسيلي الطرابلسي

١

تمهيد للحجة — قبل القاء زمام هذا الموضوع في هذه المقالة الى حضرة صديقنا الباحث الفاضل اسعد افندي باسيلي الذي مرت عليه بضع سنوات في درس الادب والفلسفة ومطالعة كتب العلماء فيها نود ان نضع تمهيداً وجيزاً لمقالاته الاولى في هذا الموضوع ايضاحاً للغرض المقصود منها فنقول — ان رنان في كلامه عن « العدو الحقيقي للعلم والدين » قال كما ورد في العدد السابق (الصفحة ٤٦٢) ما نصه : « نحن على اتفاق تام في هذه المسائل مع رجال الدين . وانما الخلاف الذي بيننا علمي لا ديني . فقلوبنا اذاً معهم . وعدونا عدوهم . ونعني بهذا العدو المبادئ المادية الواطئة التي لا ترى في الكون شيئاً غير المادة ودناءة بعض البشر (يعني بعض رجال الاكليروس) الذين يرومون استخدام كل امر حتى الامور المقدسة في سبيل مصالحهم الخصوصية » . فيؤخذ من هذا القول انه لا عدو للدين والعلم الدمن هذين العدوين . وهما : اولاً الذين لا يعتقدون بشيء خارجاً عن دائرة المحسوسات وينكرون الافكار الدينية ويتعاملون على الاديان ويمجدون مبادئها الاساسية التي مدنت الامم ورفت الشعوب . وثانياً بعض رؤساء الاديان الذين يوءذون الاديان بشراحتهم او بجهلهم او بسوء قصدهم او بانقاذ اغراضهم اكثر مما يؤذيها اولئك الماديون الجاحدون

فهما اذاً على محبي الخير للشعوب واجبان عظيمان . الاول مقاومة هؤلاء الرؤساء الذين لا يقصدون بالرئاسة الا قضاء اغراضهم الدنيوية والهواء الخاصة والعامه بالظواهر الدينية عن المبادئ الدينية الحقيقية . والثاني مقاومة اولئك الماديين الذين يرومون انزال الانسان في منزلة البهائم من حيث انكار كل شيء فيه خرج عن دائرة المادة الدينية . ولقد كان غرضنا من نشر كتاب تاريخ السيد المسيح القيام بالواجب الاول . وهما نحن ننشر المقالات المتسلسلة التالية قياماً بالواجب الثاني . فهذه المقالات اذاً انما هي موجهة الى الجاحدين لا الى المصدقين . ونحن نشير عليهم بان يطالعوها بامعان ليتحققوا صدق

ما قاله رنان ونشرناه في الجزء الثاني من الجامعة الصفحة ٨٢ وهذا نصه : « ان ابسط الناس المؤمنين في قلوبهم اكثر معرفة بحقيقة الاشياء من اولئك الماديين الذين يفسرون كل شيء في الحياة بالصدفة وفناء المادة »

ونحن نشكر حضرة صديقنا الكاتب لاثخافه الجامعة بهذا البحث الذي ليس اقدر منه عليه — والآن نلقي زمام الكلام اليه »

بين رجال الدين وبعض رجال العلم تناظر قديم العهد يبدأ تاريخه من يوم اكتشف العقل البشري ابسط النواميس الطبيعية فوضع بذلك حداً لعبادة الاشياء المحسوسة . والذي يسوق كل معتدل من هذا العداء ما نراه من تطرف كل من الفئتين الاولى في اثبات الثانية في الانكار . فمن جهة ترى رجال الدين يبالغون في اثبات اشياءهم وينزلون جميع عقائدهم وآرائهم — حتى ما كان منها يعارض العقل — منزلة الحقائق اليقينية الراهنة . فيقابلهم رجال العلم بالانكار المطلق وقد يتجادون في انكارهم فيجدون ان هنالك حقيقة قام عليها بنيان الاديان

وعندنا ان العلم مصيب اذ يعمل على دحض ما غشي الدين من الاباطيل والالوهام لانه اذا لم يكن من شان النور ان يضع حداً للظلمة فما يكون شأنه يا ترى ؟ الا انه يخطئ كل الخطأ عند ما ينظر الى العقائد الدينية بعين الازدراء والاحتقار ومحسبها عارية عن كل اساس

قال الفيلسوف هيرت سينسر في كتابه المبادئ الاولى ان القول بان جميع الافكار الدينية عارية عن الاساس يحط كثيراً من قدر العقل البشري الذي انما عنه ورثت الانسانية ما لديها من الحقائق

ومن ذا يا ترى يرى رجلاً من نوابغ بني الانسان كفافلاطون واريستو وسان توما وديكارت ونيوتن وكوزين وغيرهم يشغلون قسماً كبيراً من مؤلفاتهم في البحث في ما وراء الطبيعة واثبات الاصول الدينية العامة ثم يجرأ بعد ذلك على القول انهم انما كانوا في ما كتبوه من هذا القبيل يحكيون اوهاماً باوهام ويشيدون على غير اساس . او لا يبعث هذا على الريبة بجميع احكام العقل ومدركاته

ولسنا نكتفي بهذا القول وحده لاثبات الحقيقة الدينية العامة بل نحن موردون

على ذلك أدلة أخرى معتمدين فيها على ما كتبه الفيلسوف هروبرت سبنسر أشهر فلاسفة الانكليز في هذا الزمان

﴿ وجود الافكار الدينية عند جميع الامم ﴾ اذا امعنت النظر في تواريخ الامم الغابرة ثم عدت بنظرك الى عمران الشعوب الحاضرة ترى انه ما من امة من الامم قديمة او حديثة خلت عن بعض العقائد الدينية وأثن اختلفت تلك العقائد من حيث نوعها ودرجتها في سلم الارتقاء . فهل يسلم عاقل بوقوع مثل هذا بالمصادفة والاتفاق ؟ او ليس من شأنه ان يحتملنا على ترجيح صحة ما قاله رنان من ان الانسان حيوان دين اعني انه ذو نزوع فطري الى الدين

الا انهم يعترضون بوجود بعض قبائل همجية لا نجد عندها ادنى فكرة ابتدائية عن علة الكائنات والخليقة والخلق . وان هذه الافكار لم يبد لها اثر للوجود الا بعد اذ بلغ الانسان درجة ما من الترقى العقلي . فنجيب ولو صح هذا فلا يفيد شيئاً من النتيجة التي نرمي اليها لانه متى نسلم ان جميع القبائل التي ارتقت مداركها العقلية بعض الارتقاء وجدت عندها افكار دينية لزم عن هذا ان هذه الافكار تنشأ بالضرورة عن ترقى العقل

وما نراه من التنوع بين العقائد يساعد على تأييد هذه النتيجة اذ انه يدل على ان عقائد كل امة نشأت مستقلة عن عقائد الاخرى وان وجود الامم الكثيرة في ظروف واحوال متماثلة مع اختلاف الازمنة والامكنة ادى الى ايجاد افكار متماثلة ونتائج متشابهة وزعم آخرون ان جميع ما يذكره لنا تاريخ الاديان من العقائد هو مخترعات عرضية وضعها الكهان والزعماء بقصد مخادعة العامة والتغويه عليهم . وهذا زعم لا يستطيع اثباته اذ لا يتفق ان يقوم عند جميع الامم القديمة والحديثة المتقدمة وغير المتقدمة افراد من الهيئة يتواطئون على مخادعة الآخرين وتكون الوسائل التي يتناول بها اربهم متماثلة احوالها كل هذا التماثل

وان قيل ان الاختراع الاول للدين وقع قبل ان تفرقت طوائف الجنس البشري في انحاء الارض وان الجرائم الدينية انتقلت مع كل قبيلة عند جلائها عن الوطن الاول قلنا ان علماء اشتقاق اللغات يفتدون هذه المزاعم لانهم يثبتون بالادلة ان تفرق الجنس البشري حصل في زمن لم تكن اللغة ارتقت فيه الى درجة يستطيع عندها التعبير عن الافكار الدينية

ومع هذا فلو أمكن وجود أدلة تثبت كون الأديان مخترعات عرضية فلا يمكن بهذا الافتراض التعليل عن كل حادث في الدين لأنه إذا كانت الأديان مخترعات جماعات متفرقة من الكهان فلماذا نرى تحت الفروع الدينية المتنوعة أصولاً ومبادئ مماثلة . وإذا كانت جميعها أباطيل وأوهاماً فلماذا نرى النقد العلمي الذي استطاع إسقاط العقائد الخصوصية لم يتمكن من ضعفة الفكرة الأساسية التي قامت عليها تلك العقائد . ولماذا نرى العقائد الدينية بعد أن تسقط سقوطاً عظيماً عند أمة كما حدث في أواخر القرن الثامن عشر في فرنسا لا تلبث أن تنهض ثانية أن لم يكن بمظهرها الذي كان لها من قبل فجورها القديم يبقى هو نفسه

﴿ الشعور الديني ﴾ ثم إن هنالك من يزعم أن الأفكار الدينية هي من نتائج الشعور الديني فهو الذي يجعل العقل يحيك صوراً وهمية لا يلبث أن يتخذها شيئاً فشيئاً حقائق راهنة . وهو لا يعلم أن وجود الشعور الديني إذ لا يرون سبيلاً لانكار شعور يحس به السواد الأعظم من بني الإنسان وقد كان له أعظم أثر على التمدن في العصر التاريخي . وما برح لهدنا هذا أساس كثير من المنظمات الاجتماعية والباعث على كثير من الأعمال العظيمة المفيدة

الا إن زعمهم هذا لا يحل المسئلة وإنما يبعد قليلاً الصعوبة في حلها . لأنه سواء كان الشعور الديني منشاء الفكر الديني أو كان للشعور والفكر مصدر واحد فلا بد لنا أن نسال من أين جاءنا هذا الشعور ؟

وجواباً على هذا نجد أمامنا أحد افتراضين . أما أن يكون هذا الشعور خلق دفعة واحدة بفعل خلق خصوصي وأما أنه نشأ تدريجاً تبعاً لناموس الارتقاء . فإذا اتبعنا الأول الذي اتبعه الأفدمون وعليه أكثر البشر لهدنا هذا فالمسئلة تكون قد حلت إذ يكون الإنسان قد منج الشعور الديني من مبدع حكيم فهو منطبق إذاً على مقاصد هذا المبدع . وإن اتبعنا الافتراض الثاني وسلمنا بما يوجبه مذهب الارتقاء من أن القوى هي نتيجة التحولات العديدة التي طرات على الإنسان بفعل المؤثرات والاحوال الخارجية عليه تعين أن نسلم بوجود احوال خصوصية اوجبت نشأة الشعور الديني ومن ثم يكون حكمه حكم سائر القوى النفسية . وإذا صح أيضاً ما يوجبه مذهب الارتقاء من أن الغاية التي تتوجه اليها التحولات الارتقائية هي أعداد الحي لاستكمال ما هو من لوازم وجوده أمكننا أن نستنتج من هذا أن الشعور الديني من البواعث المؤدية لسعادة البشر

اذن فسواء كان الشعور الديني خلق دفعة واحدة او نشأ تبعاً لناموس الارتقاء
فالنتيجه من كلا الافتراضين توجب علينا احترام الشعور الديني

﴿ اتجه العقل الى ما وراء حدود العلم ﴾ وهناك ملاحظة اخرى لا ينبغي ان
نضرب عنها صفحاً وهي ان العلم معها اتسعت دائرة اكتشافاته فهو عاجز عن ان يروي كل
الارواء ظاء العقل البشري الى المعرفة . فمعها امعنا في الاكتشاف العلمي فانه يبقى لدينا
ولدى من ياتي بعدنا مسالة وهي : ماذا يوجد بعد ذلك ؟ ومعها تقدمنا في التعليل عن
اصل الكائنات فلا يمكننا ان نجد مناصاً من هذا السؤال : ما الذي يعمل لنا التعليل
نفسه ؟ فاذا كان العلم هو اشبه بدائرة نتسع شيئاً فشيئاً فمخوه لا يكون من شأنه الا ان
يزيد نقط اتصاله بالمجهول الذي يساوره من كل جانب . ويلزم عن هذا ان يوجد على
الدوام طريقان ينتجهما الفكر البشري وهما العلم والدين

اذن فالعقل سيشتغل في الاستقبال كما يشتغل في الحال ليس فقط في البحث عن
الحوادث الوضعية وعلائقها بعضها ببعض بل بشيء لا يستطيع اثباته بالادلة الواقعة تحت
الحواس ولا بد من افتراض وجوده عند النظر الى الحوادث واعتبار علائقها بعضها ببعض .
وينتج عن هذا انه ما دام العلم لا يستطيع وحده ان يشغل جميع القوى الانسانية وما دام
العقل يوجه انتباهه ابدًا الى ما وراء حدود العلم فسيبقى محل للدين على الدوام لان الدين
يمتاز بكون موضوعه وراء دائرة العلم والاختبار

والحاصل من جميع ما تقدم ان وجود الافكار الدينية عند جميع الامم ونشأتها مستقلة
بعضها عن بعض وحيويتها المستمرة في المجتمع الانساني ووجود الشعور الديني اياً كان
منشأه واتجاه الفكر الى ما وراء حدود العلم كل هذا من شأنه ان يثبت ان للدين اصولاً
عميقة في الانسان لا سطحية كما يتوهم البعض وبدل على ان هنالك حقيقة اساسية قام
عليها بنيان الاديان



حيوان غريب واكتشاف علمي

﴿ الذبابة القاتلة احدى غرائب افريقيا ﴾

(دليل جديد على فساد مذهب داروين)

لا نغني بالذبابة القاتلة الذبابة المألوفة التي تقع على بصاق المسلول ثم تقع على الطعام او على فم الانسان فتنتقل اليه جراثيم داء السل او غيره من الامراض المعدية . ولكننا نغني بها ذبابة مختصة بشمال افريقيا يسمونها تسه تسه كما ورد ذلك في خطبة المسيو هانوتو التي لخصناها في الجزء السابق . ولقد قال المسيو هانوتو عن هذه الذبابة في تلك الخطبة « انها تقع على الدواب فتجرحها جروحاً تميتها ولذلك لا سبيل الى نقل البضائع الا على ظهور الرجال وهذا مما ينزل الانسان في منزلة العجاوات »

ولقد عدَّ المسيو هانوتو في تلك المقالة هذا الامر في جملة الاسباب التي اخرت تمدن افريقيا الى هذا الزمن . ثم قال « ان العلماء صاروا يجربون مداواة داء هذه الذبابة بالصل وهم يؤملون اكتشاف هذا الدواء قريباً . فاذا تمَّ لم ذلك احسنوا الى التمدن في افريقيا اعظم احسان لانهم يردون اليه نصف هذه القارة التي تفتك بها هذه الذبابة الغريبة »
وبينا كنا نتصفح في هذا الشهر وقائع مجمع العلوم في باريز عثرنا على بلاغ بهذا الشأن قدمه اليه جناب الدكتور لافران الذي صرف همه الى درس احوال هذه الذبابة لانقاذ افريقيا من شرها . وهذا البلاغ يشير الى اكتشاف علمي خطير من وجهين . وليبان ذلك نقول .

وصف الدكتور لافران هذه الذبابة في بدء مقاله فقال انها تدعى باللغة العلمية « كلوسينا مورسيتان » وهي كباقي الذباب التي تعيش في كل مكان . ولذلك لا يعرفها من لا يعرفها . اما جسمها فهو مرقط في بطنها باسمرار وبياض ولكن باقيه اسود او رمادي ضارب الى السواد

ومن طبيعة هذه الذبابة انها اذا رأت انساناً او حيواناً انقضت عليه بسرعة غريبة ولذعته في الموضع الذي يكون مكشوقاً في جسمه . فينشأ عن ذلك في ذلك الموضع جرح صغير او خمش . وهذا الجرح لا تاثير له في الانسان والبقال والحمير والماعز والحيوانات الوحشية التي تعيش في الاماكن التي تعيش فيها هذه الذبابة كحمار الوحش والفيلة وبقر

الوحش وما اشبهها ولكنه ذاتاثير ميمت في بعض الحيوانات الالهلية الداجنة كالفرس والكلب والبقر والغنم . فان هذه الحيوانات تموت احيانا موتا فجائيا بعد انقضاء ٢٤ ساعة على لدع الذبابة لها واحيانا تظهر فيها اعراض الداء ثم تموت بعد ذلك ببضعة ايام . وهنا ملاحظتان جديرتان بالاعتبار . الاولى حكمة الناموس الطبيعي الذي قضى بان لا يؤثر سم هذه الذبابة في الحيوانات الوحشية التي تعيش معها في واسع البرّ والتي هي معرضة في كل دقيقة وكل ثانية للدعها المميت تعرضا كان كافيا لفنائها في اسبوع واحد . والثانية ان المسيو هانتوتو قد اخطأ في قوله ان هذه الذبابة تمنع من نقل البضائع على الدواب لانه قد ثبت بالاختبار انها بلا تاثير على البغل والحمار كما تقدم

اما داء هذه الذبابة فانه ينشأ عن مادة سامة تدخلها الذبابة الى جسم الحيوان الملدوع حين لدعها اياه . وهي عبارة عن جراثيم او ميكروبات تحدث تسمما في الجسم . واهم اعراض هذا الداء رشخ سائل من عيون الحيوانات بعد لدع الذبابة اياها وانتصاب شعرها وانتفاخ بطونها وفكوكها وضمورها وضعفها ضعفا عاما ينتهي بالموت .

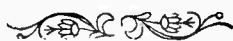
بني دواء هذا الداء الذي يتنى المسيو هانتوتو اكتشافه انقاذا لنصف افريقيا من شرعظيم كما قال . فنقول ان الدكتور لافران قد ابلغ مجمع العلوم في البلاغ الذي تقدمت الاشارة اليه انه اكتشف دواء هذا الداء . ولكن دواءه دائم آخر يصيب الانسان . فكان هذا الاكتشاف عبارة عن نفع الحيوان بضرر الانسان . ولا غرابة في ذلك فانه قد مرت قرون واجيال عديدة والحيوان يخدم فيها الانسان بتعبه ولحمه ودمه . فهل كثير بعد هذا ان يخدم الانسان مرة من المرات رفيقه الحيوان

وبيان ذلك ان الدكتور لافران وجد انه اذا لحق الحيوان الذي لدعته تلك الذبابة بمصل مستخرج من « دم الانسان » فان الداء يضعف بضعف جراثيمه في دم الحيوان المصاب لان هذه الجراثيم تموت في دم الانسان . وقد جرّب الدكتور هذا الامر في عدة حيوانات ملدوعة فحسنت حالتها سريعا وشفيت . ولكنه كان اذا احى دم الانسان الى درجة ٥٢ وحقن به الحيوان المصاب فقد هذا الدم مزية قتل جراثيم الداء في جسم الملدوع . واذا ابلغ حرارته الى ٦٢ درجة قل تاثيره ايضا

وبناء على ذلك يكون دم الانسان الدواء الشافي من هذا الداء ولكن كيف يحل استخراج دم الانسان لمداواة هذا الداء به . وهب انه امكنا استخراج شيء منه لحقن الحيوانات الصغيرة فمن اين لنا بمقادير كافية لحقن الحيوانات الكبيرة .

هنا نقطة الخلاف وموضع النظر

ومن اجل ذلك رام الدكتور استبدال دم الانسان بدم آخر فجرب دم الحمار والبغل والماعز وغيرها من الحيوانات التي لا يؤثر لدع الذبابة فيها فلم تنفع التجربة . فخطره حينئذ خاطر ملاء املاً . وهوانه ذكر ان انصار داروين يقولون ان الانسان قد ارتقى عن القرد اي انه كان من قبل بهيئة القرد وبشكلها او بهيئة قرد ارقى من القرد الموجودة اليوم ثم ارتقى على مر القرون والاجيال وصار الى ما هو عليه الآن . فقال هذا الدكتور في نفسه : اذا كان هذا الامر صحيحاً فلا بد ان يكون لدم القرد خواص دم الانسان لانها من اصل واحد . ولذلك جاء بدم القرد وجربه في مداواة الحيوانات المزدوعة فلم تنفع التجربة . فقال الدكتور حينئذ : اني رميت بحجر فاصبت غرضين . فانه لا ريب ان هذا دليل من اقوى الادلة على ان الانسان لم يشتق من الحيوان



النهضة الادبية الحديثة في مصر والشام

* هل هذه النهضة نهضة حقيقية ام لا *

(الامور الواجب الاتفاق عليها بين ارباب الصحافة)

فلنا في الجزء السابق انه قد انتهت علينا رسائل القراء من كل صوب جواباً عن الاسئلة التي القيناها عليهم في الجزء السادس . ولقد كان في النية ان ننشر هذه الرسائل كلها كما ذكرنا ذلك في حينه للدلالة على ما يرتئيه الشريون في الصحافة الشرقية خصوصاً لان في هذه الآراء عجائب وغرائب . غير اننا عدلنا عن ذلك اضطراراً لكثرة هذه الرسائل كثرة يضيق عنها حجم جزئين من الجامعة او اكثر . ولذلك راينا ان ننشر منها ما قل ودل متمسكين العذر من حضرات المراسلين الافاضل وشاكرين لهم اشتراكهم مع المجلة في هذا البحث المهم . وفي يقيننا ان رصفاءنا الكرام ارباب الصحافة العربية لا ينظرون الى هذا البحث بنظر الاهتمام فقط بل هم ينظرون اليه نظر الفكاهة ايضاً ولذلك لا نشك في انهم يغفرون لبعض المراسلين اذا رأوا في بعض افوالهم ما لا يسر . وبما يوجب هذا الاغفار ايضاً ان حضرات المراسلين هم نخبة من افاض الجمهور وادبائه . ومن المعلوم ان الصحافة للجمهور وهو سيدھا وصاحب الراي المحترم فيها كما يعترف بذلك الصحافيون انفسهم

حاجات الصحافة

ونبدأ أولاً بالاجوبة الشعرية لان للشعر حق التقدم . فمن ذلك قصيدة يذكر
صاحبها حاجات الصحافة وهو من الشعراء المجيدين الذين ينثرون شعرهم في كل مجلة
وجريدة كما ينثر الزهر في الرياض وينظمون الشعر لذاته ولذاته لا لامر آخر . قال
سألت وربما سأل العليم وشاور غيره الرجل الحكيم
سألت عن الصحافة كيف امست فقلت اصابها خطر عظيم
وما ادري وليس سواي يدري اتسقط بعد ذلك ام تقوم
هي الفوضى فقل ما شئت فيها يصدق قولك الذوق السليم
لقد غدت الصحافة وهي حيرى يضل سرائرها ليل بهيم
واعوز اهلها علم ومال وراي يستضاء به قويم
وشعب لا ينام عن المعالي ولا يرضيه ذو الكسل النويم
وحكام يرون العلم نفراً فما تشقى يجهلهم العلوم
الدلتجات (احمد محرم)

الصحافة ورثاء الشرق

واما القصيدة التالية في « الصحافة ورثاء الشرق » فهي جواب شاعر في زهرة الشباب .
وفي يقيننا انه اذا انقطع الى الدرس المفيد وفك نفسه من التقليد فانه لا يبلغ الثلاثين او
الاربعين الا وهو في مقدمة شعراء المتأخرين . ولا غرو فانه من نبعة رافعية . قال

ما احتاج هذا الشرق للقائل بمثل ما يحتاج للفاعل
وما الذي نسمع من اهله يبلغ منه مبلغ العامل
كم ملأوا الافق بصيحاتهم وطاولوا النجم بلا طائل
وسيروا صحفاً بعضها عن بعضها في شغل شاغل
تحتشد الافلام فيها كما يختلط الحابل بالنابل
ويجمع الحق الى خصمه وليتها تقضي على الباطل
وهي وان لم تك من لوءه حلية ذاك الاجيد العاقل
انشدها الله وميثاقه ان تنصف الجد من الهازل
وترفع العلم وايناء وترفع الجهل عن الجاهل

وتوفظ الخامل من نومه فكم بهذا الشرق من خامل
وتذكر الغرب وآياته وتضرب الامثال للغافل
اقى همى القطر على ارضنا مبشراً بالعارض الماثل
ورنحت اعطافنا هزة كما يدب الخصب في الماثل
تصقل غضب الشرق من بعدما قد كان لا يحتاج للصائل
ما الذنب للعضب اذا ما نبا وانما الذنب على الحامل
يا عصبه الشرق اما انتم ابناء ذاك السلف الباسل
ان يزل الظل فلا تيسوا نفثوا ظلاً سوى الزائل
لا يبرأ المذنب ان يعتذر عن ذنبه بالقدر النازل
فانصفوا ناصحكم واسمعوا وانصتوا للقول والقائل
شبين الكوم (مصطفى صادق الرافعي الطرابلسي)

وبقيت بعض فصائد طويلة ضاق عنها المجال فالمرجو المَعْدرة من حضرات
اصحابها الافاضل

تلخيص بعض الرسائل

وهنا ننتقل الى النشر فنلخص بعض الرسائل التي اخترناها للنشر ونرجو المَعْدرة من
اصحاب الرسائل التي ضربنا صفحاً عنها لان المجال ضيق دونها
ونبدأ اولاً برسالة لحضرة الدكتور امين افندي الخوري في المنصوره ولا ريب ان
حضرات القراء في مصر وخارج مصر قد سمعوا بشهرة الدكتور خوري في عالم الادب .
قال جناب الدكتور : « ان الصحافة معذورة واسباب عذرها كثيرة يطول شرحها
ولا يفيد التنبيه اليها لان الداء دفين ومضعفات العلة اشدّ خطراً من العلة نفسها .
وما الحيلة باستبداد الحكومة وذل الشعب وفقر العامل وجهله حالتي الحاكم والمحكوم وواجباتهما .
واما النهضة فهي ولا شك كائنة وبأكثر من المأمول وهي في كل يوم بازدياد واسبابها
« المهاجرة » لا المجاهرة »

ومنها رسالة توقيعها « محفوظ » والصحيح انه « حافظ » لا محفوظ . وهي عبارة عن
كتاب مفتوح لجناب نجيب افندي الجاويش صاحب الراي الشديد على الكتاب وعلى
الصحافة الذي نشر في الجزء السادس . وقد استهل الكاتب « محفوظ » كتابه بقوله يخاطب
رصيفه جناب نجيب افندي « اكتب اليك ولا علم لي بك والذي حركني لذلك معانٍ

لاحت لي من خلال سطورك رغماً عن لسان مسكته وقلم قيدته مخافة ان يكون كحزقيال يخاطب عظاماً يابسة» ثم يسهب الكاتب في بيان واجبات الكتاب والصحافة فيقول — « وما يقال في الجرائد عموماً وفي السورية منها خصوصاً انها تنطق بلسان الحاكم ويجررها قلم المأمور مشحونة بالمدح الفارغ مما تقتضيه اغراض منشئها » وبعد ذلك يهدي الى الشريطين اربع نصائح رابعها « العمل بما جاء في الجامعة في الجزء الخامس من هذه السنة الصفحة ٦٤ من رواية فريسة الاسد السطر ٢ و ٣ و ٤ » ثم يختم الكاتب رسالته الطويلة الى رفيقه بقوله « هذا ما ارتأيت كتبتك اليك على سبيل الاختصار فاهبط عليّ بانصارك والا اسودعك الله الى وقت آخر يجمعنا به ذلك الرجل » فلا عجب اذا لم يفهم القارئ شيئاً من هذا الختام

وهناك رسالة من اسويط لكاتبها جناب عزيز افندي السايح وقد جاء فيها ما يأتي « لو جمعت مادة وزبدة الجرائد العربية جميعها لامكن ادراجها في جريدة او جريدتين بالاكثر لان اكثر ما تاتيه الصحف هو مدح في زيد وهجو في عبيد واحتفل بقران فلان وبجناز فلان ولولا الجرائد الافرنجية التي يترجم عنها اكثر مواد الجرائد العربية لانعدمت وصارت فارغة » ثم قال « وعندي ان الجرائد لا تقوم بواجباتها حتى قيام الا اذا غضت الطرف عن وجهة الواحد وحقارة الآخر وجعلت الصدق في افوالها والحق في اعمالها من اعظم مبادئها وعدم المحاباة من اهم اركانها . اما الاعتقاد بوجود نهضة ادبية فلا اظنه انه خطر بالبال »

واليك رسالة من القرشية لصاحبها جناب اسماعيل افندي يسري قال فيها : « ان الذي يعم النظر في احوال الجرائد والمجلات العربية وخصوصاً في مصر لا يوءمل ان يجني من ثمرها اصلاحاً بل يتأكد ان بعضها طاعون الافكار والقليل الحسن منها لا يكفي لترقية شؤون امة عددها ١٢ مليون نفس تقريباً »

واما الرسالة التالية فهي من رام الله قرب القدس لكاتبها جناب فرج افندي فرج الله وقد جاء فيها « ان الصحافة عندنا قد تجاوزت دور الطفولية الى الشباب . واني لا انكر ان في الشرق حركة جديدة ولكنها لم تصر بعد نهضة على الاقدام ولعلها لا تصير كذلك اذا بقي الحال كما هو . ذلك لان الشريطين كرضيع احس بالجوع وبوجود الاكل قريباً منه ففقر فاه ليلتقم بجهله كل ما تصيبه شفتاه من نافع ومضر . والنصيحة لهم لينهضوا ويحسنوا القيام ان يربوا ويعلموا منذ الصغر ان يحسنوا التمييز بين النافع والمضر »

والرسالة التالية من بسيمون لكاتبها حضرة ي . س احد القراء وفيها « الجرائد همها مصروف في احوال البلاد السياسية من رفع وخفض ومدح وذم . ويحملها على ذلك سعة الورق مع قلة المادة وضيق الوقت وقد لا يكتفي البعض بذلك فيضيف الى جريدته ذيلًا يستحق القطع » ثم شدد الكاتب الكبير على المقلدين والمقلدات « لان الشرقي يقلد بغير علم ولا حساب ولو علم ان الثوب المستعار لا يدقء لطرح التقليد جانبًا »

اما صاحب الرسالة التالية وهو جناب محمد شمس الدين افندي الصحن في الثغر فقد احصى المال الذي يدخل على الصحافة من الجمهور في مصر فبلغ في احصائه ٤٠ الف جنيه . فقال : « تحسن حالة الجرائد اذا تركت مدح زيد وذم عمرو لاغراضها وان لا تكتب الا فيما يعود على البلاد بالنفع والفائدة . وحينئذ تستحق ال ٤٠ الف جنيه التي تاخذها من الامة »

وقال جناب احمد افندي حافظ بالبوسطة في الثغر في ضمن رسالته « الجرائد العربية الموجودة في الشرق مفيدة ولكنها تكثر الاطالة في مواضع احيانًا لا تفيد الشعب بشيء ولا تعود عليه بالنفع المطلوب لارتفاعه »

واما الرسالة التالية فهي من جناب خليل افندي ديراني في دمشق الشام وفيها « الاعتقاد بالنهضة الادبية هو بين بين لانها كالبيت المبني على الرمال تهدده الاخطار وما ذلك الا من عدم مجراها في مجاريها واتباعها قوانينها . وما دامت على هذه الحال فان الزواجع تذريرها ما لم تؤسس على صخر العلم بالعمل والتربية على الفضيلة والآداب »

وقال جناب جرجي افندي نقولا باز في بيروت « يوجد في بعض ممالك الشرق نهضة ادبية حقيقية اكثر مما هي وهمية . ويحتاج الشرق والشرفيون الى العلم الحقيقي العملي » ومن رسالة لجناب ابراهيم افندي ابراهيم « نصيحتي للشرق والشرفيين ان يتحدوا بالوطنية ويتعلموا الاستقلال ويعاملوا بعضهم بعضًا معاملة الاخاء والمساواة وان يبنذوا التعصب الديني والعادات والاراء الضارة التي ورثوها عن الآباء والاجداد »

قول بليغ في النهضة

بقي ان ننشر رسالتين الاولى « لاحد الكتاب » المطلعين . وهذا نصها من غير اختصار « اني من الذين يعتقدون بوجود نهضة ادبية في الشرق ومن الذين لا يعتقدون بوجود هذه النهضة . وايضاحًا لهذا القول اقول
« اذا كان معنى « النهضة » نهوض الكتاب الى الكتابة فهذه النهضة موجودة لان

المجلات والجرائد والكتب لتتناثر على القراء تناثر ورق الخريف . واذا كان معنى النهضة حدوث تقدم في الشرق ادبياً ومادياً فهذا امر ثابت لا ينكره احد وانما الخلاف في هل ان هذا التقدم متبع سيراً تدريجياً ينتهي الى كماله ام لا . واما اذا كان معنى النهضة ان المؤلفات التي تُنشر الآن هي دليل على ارتقاء العلم والادب في الشرق ارتقاء حقيقياً مبنياً على اساس وطيء لا يُخشى عليه في المستقبل فهذا قول فيه نظر

« وبيان ذلك ان في ازمان النهضة العلمية والادبية في العالم ينبغي رجال من اهل العلم والادب يكونون كاساس للنهضة في بلادهم وتكون كتبهم ومؤلفاتهم بالغة من الكمال العلمي والادبي درجة لا يتجاوزها الذين ياتون بعدهم مها ابتكروا وابتدعوا . ففي النهضة الانكليزية قام باكون وشكسبير وغيرين وييل وغيرهم كما ذكرته الجامعة في ترجمة شكسبير وفي النهضة الفرنسية قام كورنيل وراسين وموليير وبوالو ولافوازيه وديكارت وفولتير وروسو . وكتب هؤلاء المؤلفين لا تزال في دور الشباب الى الآن كأنها كتبت منذ عامين . فهل عندنا من الكتب والجرائد والمجلات ما يستحق ان يحى الى ما بعد نصف قرن ويكون مرجعاً لاحفادنا بعدنا . هذا امر اشك فيه كل الشك

« وما لا يحتاج الى بيان انني قلت ' نهضة ادبية ' كما قالت الجامعة ولم اقل ' نهضة علمية ' اذ لا خلاف قطعياً في انه لا اثر للنهضة العلمية في بلادنا لان العلم الصحيح يجب ان يكون مبنياً على الدرس العملي كالمشاهدة والتجربة والاختبار لا على الاخذ عن علماء الافرنج . مثال ذلك ان من رام كتابة تاريخ الفرس يجب ان يزور مملكتهم ويستقصي آثارهم ويدرس عاداتهم واخلاقهم في نفس بلادهم لا في غرفة التحرير . ومن رام الكتابة في طبائع النحل يجب ان يكون قد ربي نحلاً وراقب معيشتها مراقبة دقيقة سنوات عديدة . وهلم جراً

« ولست اعني بذلك ان اللوم واقع على المشتغلين بالعلم والادب وحدهم فان « الطفرة محال » كما قال كاتب يحسبه بعض الكتاب من زعماء النهضة الادبية . وذلك لان هذا التقليد لا بدء منه في بدء الامر ولا ياتي الابتكار والابتداع الا في دور ثان . ولكن اللوم اكثره واقع على الاغنياء والجمهور والحكام الذين لا يساعدون الكتاب والعلماء عندنا مساعدة تمكنهم من التفريغ للدرس العملي والانتقطاع لفروع العلوم التي يشتغلون بها وهو ما يسميه العرب « الاخشاء » على ما اظن . ومعنى ذلك ان المستعد بفطرته للبحث في الفلسفة ينقطع اليها دون سواها . والمستعد بطبيعته للجيولوجيا يتفرغ اليها وحدها . والمهيا

للتاريخ لا يشتغل بسواه . والذي خُلق لدرس المسائل السياسية لا يتعدها . فتمت توزعت فروع العلوم هكذا على الصكائب والمشتغلين بالعلم امكنهم ان يصلوا في فهمهم الى درجة الابتكار وارتقت النهضة في الشرق ارتقاء عظيماً . واما اذا افاموا كما هم الآن اي ان كل واحد منهم يكتب في كل فروع المنقول والمعقول ارضاء للقراء فالنهضة تبقى سطحية اذ ليس لاصحابها من وقت ولا وسيلة للوصول الى الاعماق «

اولى حاجات الشرق

والرسالة الثانية « لاديب » فاضل ينظر الى هذه المسألة من جهة اخرى وهذا نصها

« اولى حاجات الشرق وصحافته وحكامه واهله كبارهم وصغارهم كلمة واحدة وهي «الاخلاق» وهذا نقص ظاهر في كل شيء فيه تقريباً . فاذا كانت الاخلاق شريفة في كل عمل ادبي او مادي كان ذلك بمثابة هواء نقي يستنشقه الانسان ويعيش منه واذا كانت فاسدة فسد كل شيء بفسادها . فالحاكم اذا كان شريف الاخلاق وقف قواء لخدمة الجمهور فكان في ذلك غنى عن كل نظام ودستور . والناس اذا كانوا كرام الاخلاق جعلوا الارض مسكناً للملائكة كالسمااء وكانت معيشتهم كلها هناء في هناء . والصحافة اذا كان جميع اصحابها اصحاب اخلاق لم يعد ينقصها شيء من الاشياء . فانها حينئذ تترك التمليق والرياء . والمدح والثناء . وتقدم مصلحة الجمهور حقيقة على كل مصلحة . فلا تعود ترى فيها ما تراه فيها من تكبير الصغير وتصغير الكبير في مقابلة بضعة من الدراهم والدنانير . ولا تعود ترى اثرأ لعداوة الصناعة التي تجعلها تدوس المبادئ وتغض من كرامة رصيفاتها لتجرب ذلك مغناً لذاتها . فالاخلاق الاخلاق : هذه هي حاجتنا الكبرى

«ومتى تراست الاخلاق الصحافة في الشرق اطلقت فيها الحرية للنقد الصحيح اذ يكون الغرض منها اعلاء شأن الشيء الحسن المفيد واسقاط شأن الشيء الرديء . وحينئذ يوضع كل شيء في موضعه فيقبل القراء على الحسن ويتروكون الرديء الضعيف طبقاً لناموس الارتقاء . وليس يخشى على هذا الناموس ان يبطل فيما يختص بالصحافة الشرقية لان النواميس الطبيعية لا يقف شيء في طريقها . وانما يخشى ان تعيقه حالة الصحافة الحاضرة مدة من الزمان . اما اذا تزهدت الاخلاق هذه الصحافة واعطت كل شيء حقه بقسط وعدل فان هذا الناموس يجري في مجراه ويصل الى غرضه في وقت قريب «

هذا ما اضطررنا الى الاكتفاء بنشره لضيق المقام . ونحن نأسف لاننا لم ننشر اقوال رصيفاتنا التي شاركتنا على صفحاتها في هذا البحث . وبما اننا قد اقلنا هذا الباب في الجزء فننشر في الجزء التالي المواد التي يجب استخراجها من اقوال حضرات المراسلين كما ذكرنا في ما تقدم

والذي سرنا في هذا الموضوع ايضاً وقوفنا على آراء حضرات القراء في مجلتهم . وقد استفدنا شيئاً كثيراً من نصائحهم بشأنها كما انه قد سرنا رضاهم عن خطتها وقدرهم التعب الذي نبذله فيها حق قدره . وفقنا الله واياهم الى ما فيه النفع العام وهو حسبنا ونعم الوكيل



عود الى ابن رشد

لما هممنا بكتابة ترجمة فيلسوف الاسلام ابي الوليد ابن رشد المنشورة في صدر هذا الجزء اخذنا في مطالعة بعض كتبه وما كتبه العرب والافرنج عنه . وبما ان الفيلسوف رنان قد الف كتاباً ضخماً (١) عن ابن رشد وتاريخه ومبادئه فقد بعثنا نطلب هذا الكتاب لنستعين به ايضاً . فلما وردنا هذا الكتاب ظهر لنا من مطالعته انه جدير بالنقل والتلخيص لاشتاله على تاريخ الفلسفة في ذلك الزمن وتاريخ انتقال صولجان المجد والعلم والمدنية من عرب الاندلس الى الاوربيين وهو الحادث العظيم في التاريخ الانساني . ولذلك عزمنا على تلخيصه في الجامعة ايضاً . ولا ريب عندنا ان القراء يجدون في هذه الخلاصة من الاقوال الفلسفية الزانية والاستنتاجات المفيدة والتصورات الغزلية الجميلة ما تعودوه في اقوال رنان

ولقد نشر رنان في ذيل كتابه هذا صفحات باللغة العربية لعدة من مؤلفي الاندلس الذين ذكروا ترجمة ابن رشد كابن العبار والانصاري وابن ابي اصيبعة والذهبي . وقد راينا ان تلخيص شيئاً من هذه الاقوال لانها لم ترد في الترجمة التي نشرناها في صدر هذا الجزء فضلاً عن انها منقولة عن كتب محفوظة في مكاتب اوربا الكبرى التي اخذها رنان منها

شهادة ابن العبار

قال ابن العبار كانت الدراية في ابن رشد اغلب عليه من الرواية ولم ينشأ بالاندلس مثله كالأول وعلماً وفضلاً . وقد عني بالعلم من صفه الى كبره حتى حكى عنه انه لم يدع النظر ولا القراءة منذ عقل الاليلة وفاة ابيه وليلة عرسه . وقد سوّد في ما صنف وفيد ألف وهذب واختصر نحواً من عشرة الاف ورقة . وكان يُفزع الى فتواه في الطب كما يُفزع الى فتواه في الفقه . وقد حكى عنه ابو القاسم بن الطيلسان انه كان يحفظ شعري حبيب والمتنبى ويكثر التمثل بها في مجلسه

شهادة الانصاري . والمنشور الذي نشره الخليفة بخرم فلسفة ابن رشد

اما ما نقله رنان عن الانصاري ففيه منشور في غاية الاهمية وقد وجه اليه رنان في مقدمة الكتاب نظر المستشرقين . وهذا المنشور هو نسخة الرسالة التي نشرها المنصور في الاندلس ومراكش يحذر الناس فيها من مبادئ ابن رشد وتلامذته . وقد كتب هذا المنشور كاتب المنصور ابو عبدالله بن عياش . ومما جاء فيه قوله « لما اراد الله فضيحة عمايتهم . وكشف غوايتهم . وقف لبعضهم على كتب مسطورة في الضلال . موجبة اخذ كتاب صاحبها بالشمال . ظاهرها موشع بكتاب الله . وباطنها مصرح بالاعراض عن الله . لبس منها الايمان بالظلم . وجيء منها بالحرب الزبون في صورة السلم . مزية للاقدام . وهم يدب في باطن الاسلام » وايضاً « فانهم يوافقون الامة في ظاهرهم وزيمهم واسانهم . ويخالفونها بباطنهم وغيهم وبهتانهم . فلما وقفنا منهم على ما هو قذى في جفن الدين . ونكتة سوداء في صفحة النور المبين . نبذناهم في الله نبذ النواة . واقصيناكم كما يقصى السفهاء من الغواة » وايضاً « فاحذروا وفقكم الله هذه الشرذمة على الايمان . حذرکم من السموم السارية في الابدان . ومن عُثرله على كتاب من كتبهم يخرّاه النار التي بها يُعذب اربابه . واليها يكون مآل مؤلفه وقارئه ومآبه . والله تعالى يطهر من دنس المحدثين اجتماعكم . ويكتب في صحائف الابرار تضافركم على الحق واجتماعكم انه منعم كريم » اه

وقد اشار الانصاري الى محاكمة ابن رشد لدى علماء قرطبة في جامعها الكبير فقال « وقد مُرّت (فلسفة ابن رشد) بالمجلس وتدولت (١) اغراضها ومعانيها وقواعدها ومبانيها

(١) ان رنان يصحح هذه الكلمة في حاشية الكتاب فيجعلها « تداولت » والصحيح « تدولت » بناءً على المجهول لانها معطوفة على « مُرّت » على انه صحح في الاصل العربي في مواضع اخرى عدة اغلاط ناشئة عن خطأ في النسخ فكان مصيباً في تصحيحه كل الاصابة

نفرجت بما دلت عليه اسوء مخرج وربما ذيلها « مكر الطالبين » فلم يمكن عند اجتماع الملاء الا المدافعة عن شريعة الاسلام » وعند الاجتماع تكلم القاضي ابو عبد الله بن مروان فكانه رام تخفيف التهمة فقال ما معناه « ان الاشياء لا بد في كثير منها ان تكون له جهة نافعة وجهة ضارة كالنار وغيرها فتى غلب النافع على الضار عمل بحسبه ومتى كان الامر بالصد فبالصد . فابتدر الكلام الخطيب ابو علي بن حجاج وعرف الناس بما « أمر به » من انهم مرقوا من الدين » ثم أمر ابو الوليد بسكنى البسانه (ليسنه) وكان اكثر اهلها من اليهود . وقد قال الانصاري انه أمر بسكنائها « اقول من قال انه ينسب في بني اسرائيل . وانه لا يعرف له نسبة في قبائل الاندلس »

وروى الانصاري ان من اسباب نكبة ابن رشد « اختصاصه بابي يحيى اخي المنصور والي قرطبة » ومنها ايضا انه كتب في كتاب الحيوان « ورايت الزرافة عند ملك البربر » يعني الخليفة المنصور ملك العرب لان اليونان كانوا يلقبون العرب كذلك . فلما بلغ المنصور هذا القول من حساد ابن رشد ساله عنه فاجابه اني كتبت « ملك البرين » فقرأوا ملك البربر . فاسرها المنصور في نفسه

ومن ذلك ما حدث به الشيخ ابو الحسن الرعيبي عن شيخه ابي محمد عبد الكبير . قال عن اتهام الناس ابن رشد بالاحاد « ان هذا الذي ينسب اليه ما كان يظهر عليه . ولقد كنت اراه يخرج الى الصلوة واثر ماء الوضوء على قدميه وما كدت آخذ عليه فلتة الا واحدة وهي عظمى الفلتات » ويان هذه الفلتة انه شاع في المشرق والاندلس ان ريحاً عاتية تهب في يوم كذا وكذا فتهلك الناس . وقد طبق هذا الحديث البلاد فجمع والي قرطبة طلبتها وعلماءها وفيهم ابن رشد وهو القاضي بقرطبة يومئذ ليسالم عن ذلك . ولما انصرف الطلبة تكلم ابن رشد وابن بندود في شان هذه الريح من جهة الطبيعة قال الانصاري . « فقال ابو محمد الكبير : ان صح امر هذه الريح فهي ثانية الريح التي اهلك الله تعالى بها قوم عاد اذ لم تعلم ريح بعدد يوم هلاكها . فانبرى (١) ابن رشد ولم يثالك ان قال : والله وجود قوم عاد ما كان حقاً فكيف سبب هلاكهم . فسقط في ايدي الحاضرين واكبروا هذه الزلة التي لا تصدر الا عن صريح الكفر والتكذيب لما جاءت به آيات القرآن الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه »

وقد نقل الانصاري ابياتا كثيرة في ذم ابن رشد منها قول الحاج ابي الحسين
بن جبير

الآن قد ايقن ابن رشد ان تواليفه توالف
يا ظالماً نفسه تامل هل تجدد اليوم من توالف
وله ايضا

لم تلزم الرشد يا ابن رشد لما علا في الزمان جدك
وكنت في الدين ذارياً ما هكذا كان فيه جدك

شهادة ابن بي اصبيعة

اما ابن ابي اصبيعه فانه يقول عنه انه اوجد في علم الفقه والخلاف . وانه كان ذكياً
رث البزعة قوي النفس . وانه " متى حضر مجلس المنصور وتكلم معه او بحث عنده في شيء
من العلوم يخاطب المنصور بان يقول : تسمع يا اخي ؟ " وكان الخليفة المنصور يستاء من
ذلك في مره . وقد قال ابن ابي اصبيعة ايضا " وخلف (ابن رشد) ولداً طيباً عالماً
بالصناعة يقال له ابو محمد عبدالله وخلف ايضا اولاداً قد اشتغلوا بالفقه واستخدموا في
قضاء الكور . ومن كلام ابي الوليد بن رشد : من اشتغل بعلم التشريع ازداد ايماناً بالله
تعالى " ثم احصى مؤلفاته في صفتين ونصف وقد اشترنا اليها
هذا ما راينا ضمه في هذا الفصل الى ترجمته في صدر الجزء لثم الفائدة . وقد نشرناه
هنا لان هذا الكتاب وردنا بعد طبع باب المشاهير

* تقرير المتحف والمكتبة البلدية * وضع جناب الدكتور بوتي مدير المتحف في
التقرير تقريراً عن المتحف والمكتبة البلدية في السنة الماضية ورفع الى جناب رئيس لجنة
المتحف والمكتبة . وقد اهدتنا اللجنة نسخة منه فاذا به يشتمل على ما جدد في تلك السنة من
نبش الآثار القديمة في كوم الشقافة وغيرها . ويؤخذ منه ان معدل الداخلين الى المكتبة
البلدية ٢٨ شخصاً في كل يوم على اننا نرجح انه لو كانت المكتبة في مكان قرب المنشية لما
نقص هذا المعدل عن مائة شخص في كل يوم . فعسى ان لا يبطىء المجلس البلدي في
انشاء بنائه الجديد على الرصيف الشرقي لينقل المكتبة اليه وبذلك يحقق اماناً محي
المطالعة في الثغر

باب التربية والتعليم

ليست وظيفة المدرسة منصورة على
تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة
والأقدار من اخص وظائف المدرسة

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا اردتم ان يكونوا عظام وفضلاء
فعلوا النساء ما هي العظمة والفضيلة

تأثير مدرسة سورية واحدة

محاضرة المدعوين روزا انطون

اطلب العذر من قارئات الجامعة في هذا الفصل فاني اريد ان اقوم بشيء
من الواجبات التي عليّ للمدرسة التي نشأت فيها ورييت بين تلميذاتها العزيزات وذلك
بان اظهر للملاء فضلها وفضل حضرة الرئيسة الكريمة التي نثولها منذ ٢٥ عاماً دون
انقطاع وذلك بمناسبة الاحتفال السنوي الذي جرى فيها في الشهر الماضي
واكثر القارئات العزيزات يعرفن انني اعني بهذه المدرسة مدرسة البنات
الاميركية الكبيرة في طرابلس الشام وهي التي تديرها حضرة الرئيسة الفاضلة مس
لاكرايج التي شهد فيها الاميريكون والسوريون انها من اللواتي صدق فيهن شاعرنا
العربي الذي قال

ولو كان النساء نظير هذي لفضلت النساء على الرجال

واني اعتبر ان من كمال حظ العيال الطرابلسية في طرابلس ان يكون لديها مدرسة
كهنه المدرسة نثولها رئيسة كهذه الرئيسة . ذلك ان الامر المهم في المدارس ليس
بناء جدرانها وحشد التلامذة والاساتذة فيها ولكن اقامة عقل سامر فيها سنوات متوالية
يتولى في اثنائها ادارة كلياتها وجزيئاتها بحكمة ومهارة تؤديان الى الغرض المقصود من
انشاء المدرسة وهو حسن التربية اي بث الاخلاق الحسنة وحسن التعليم اي اثارة العقل
وتوسيع المدارك . وحسب الباحثين عن فوائد المدارس وتأثيرها في الهيئة الاجتماعية ان
ينظروا الى هذه المدرسة فقط . فانها اصبحت في طرابلس عبارة عن نقطة تدور حولها
دائرة اكثر العيال الطرابلسية ولذلك نرى رئيستها الفاضلة اما للصغيرات وصدقة للكبيرات

وترى محفلها نادياً يتردد فيه أحياناً صدى الوعظ والارشاد وأحياناً صدى الخطب الأدبية المفيدة التي يقوم بها نخبة من أفاضل الفيحاء مرة بعد مرة . فلو كانت جميع الطوائف في سوريا وطننا المحبوب تبذل هذا الجهد في التربية والتعليم والارشاد والنهوض الى العمل المفيد لاصبحت سوريا في احسن حال في وقت قريب

ولقد عرف الاميركان فضل هذه المدرسة ورئيستها الكريمة ولذلك يحترمونها احترامهم لعاملة وقفت حياتها للخدمة العمومية . ولما سافرت منذ ثلاث سنوات الى اميركا احتفلوا باستقبالها هنالك احتفالاً عظيماً . وليس الطرابلسيون والطرابلسيات باقل عرفاناً للجميل فانهم احتفلوا في الشتاء الماضي احتفالاً مؤثراً بيويلها الفضي اي بانقضاء ٢٥ عاماً عليها وهي تتولى رئاسة المدرسة

وفي اوائل الشهر الماضي احتفلت حضرة الرئيسة بتوزيع الشهادات على التلميذات المنتهيات في هذا العام . فكان احتفالاً بهيجاً وقد اُلفت فيه المنتهيات خطباً مفيدة . فخطبت حضرة المدموازل اسما زرعو في خطبة الترحيب ثم اردفتها بخطبة في « الفن المهمل » اي التربية . ثم تلتها حضرة المدموازل لورتا لاذفاني فالتقت خطبة في « الآداب » وحضرة المدموازل فيكتوريا كاسفليس فخطبت في « اليد الفاضلة » وحضرة المدموازل زكية غراب في « التمدن الحقيقي » وحضرة المدموازل مرتا عطيه في « كتاب عجيب » وحضرة المدموازل اسما صبيعه في « ساحة الحرب » واردفت خطابها بالوداع . وبعد ذلك تلا جناب القس وليم ادي الخطاب العمومي في « اقتدار الشخص الواحد » ووزعت حضرة الرئيسة بيدها الكريمة الشهادات على المنتهيات صاحبات الخطب وختمت الحفلة بخطبة من جناب المعلم جرجس الخوري استاذ اللغة العربية في هذه المدرسة موضوعها « ارشاد المنتهيات »

فانا في هذا المقام اهنيء رفيقاتي المنتهيات العزيزات بقطعهن مراحل العلم والعمل وفوزهن بهذا الاكليل الادبي الذي ضمّ الى اكليلهن الطبيعي اعني اكليل الفضيلة والجمال والطهارة . واسال الله ان يكثر في سوريا وطني والاول ومصر وطني الثاني مدارس البنات النافعة القادرة ان تربي للمصريين والسوريين امهات وربات منازل لمن رائحة الورد ونشاط النحلة ووداعة الحمامة واخلاق رئيسي الفاضلة



باب التقريظ والانتقاد

الانصاف

﴿ في اسباب الاختلاف بين المسلمين ﴾

تأليف الامام ابي محمد عبد الله ابن السيد البطليموي

اختلف المسلمون والمسيحيون في تفسير الانجيل والقرآن اختلافاً جعلهم فرقاً فرقاً لان كل قارىء منهم يفسر الآيات كما يفهمها ويحضره تفسيرها . ولذلك مست الحاجة في بعض اجزاء المسيحية الى سلطة عليا تفسر تلك الآيات ويخضع الجميع لتفسيرها وذلك ما جرّ الى اثبات العصمة البابوية . وبناء عليه فتى صدر من الفاتيكان تفسير فقد قطعت جبهة قول كل خطيب ولم بعد يجوز لاحد الاعتراض على هذا التفسير . ولذلك قال المسيو ولدك روسو رئيس الوزارة الفرنسية السابقة لاحد قس البروتستنت في خطبة له في احدى سياحاته ان الجمهورية والمذهب البروتستنتي على اتفاق تام لانها لا يربهان تحكيم العقل وبطلقان الحرية للنقد في اهم الشؤون

اما المسلمون فانهم رغبة في الخلاص من تلك الاختلافات العديدة التي نشأت عن اختلافهم في التفسير والنقل طرقوا سبيلاً آخر غير اثبات العصمة لرئيسهم الاعلى وذلك لان مبدأ العصمة لا ينطبق على روح شريعتهم الشعبية التي من امثالها عندهم قولهم «العصمة لله وحده» . وهذا السبيل الذي طرقوه هو افعال باب «الاجتهاد» وتحريره . فكان المسيحيين فضلو حل هذه المسألة حلاً ايجابياً والمسلمين فضلو حلها حلاً سلبياً وامامنا الآن كتاب صغير الحجم كبير النفع عنوانه «الانصاف» وموضوعه البحث في ما نحن الآن في صده أي «التنبيه على الاسباب التي اوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم» وقد ألف هذا الكتاب الامام ابو محمد عبدالله بن محمد بن السيد (١) البطليموسي النحوي الذي نشأ في بلنسية بالاندلس وثوى نشره حضرة احمد افندي عمر الحمصاني البيروتي الازهري

(١) سمي كورنيل المؤلف الفرنسي المشهور ابلغ رواياته «السيد» لان بطلها

وهذا الكتاب يشتمل على ثمانية ابواب بسط فيها المؤلف اسباب الاختلاف . واتماماً للفائدة نذكر هذه الابواب ونقتطف مثلاً من كل واحد منها

الباب الاول في الخلاف العارض من جهة اشتراك الالفاظ واحتمالها التاويلات الكثيرة . مثال ذلك الحديث « قصوا الشارب واعفوا المحي . قال قوم معناه وفروا وكثروا وقال آخرون قصروا وانقصوا . وكلا القولين له شاهد في اللغة »

وبالباب الثاني في الخلاف العارض من جهة الحقيقة والمجاز . مثال ذلك ما جاء في القرآن « يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم . ومعلوم ان الله تعالى لم ينزل من السماء ملابس تلبس وانما تاويله والله اعلم انه انزل المطر فنبت عنه النبات ثم رعته البهائم فصار صوفاً وشعراً ووبراً على ابدانها ونبت عنه القطن والكتان فاتخذت من ذلك اصناف الملابس فسمي المطر لباساً »

الباب الثالث في الخلاف العارض من جهة الافراد والتركيب . مثال ذلك ما جاء في الحديث « السعيد من سعد في بطن امه والشقي من شقي في بطن امه . فبنوا من هذا النوع من الآيات والاحاديث مقالة اصلوها على ان العبد مجبر ليس له شيء من الاستطاعة وصرحوا بان من اعتقد غير هذا فقد كفر » ولكن غيرهم تصفحوا القرآن فوجدوا فيه « لا يرضى لعباده الكفر » « واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى » وفي ذلك من الدلائل على الاختيار ما فيه . وجاء في الحديث « كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه او ينصرانه او يمجسانه » وفي ذلك اوضح دليل على اختيار الانسان وتاويل للقول الاول

الباب الرابع في الخلاف العارض من جهة العموم والخصوص . مثال ذلك ما جاء في القرآن « ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله . قال قوم ان هذه الآية نزلت عموماً ثم خصصت بقوله صلى الله عليه وسلم : « صفع لامي عما حدثت به نفوسها ما لم تكلم به او تعمل »

الباب الخامس في الخلاف العارض من جهة الرواية والنقل . قال الامام ابو محمد في

حارب العرب في الاندلس فهابوه ولقبوه بهذا اللقب . غير ان بعضهم ظن ان كلمة « السيد » مشقة من السيادة والحقيقة ان المراد بها « الذئب » لان السيد بكسر السين وسكون الياء من اسماء الذئب وكان عرب الاندلس يطلقون هذا الاسم على كل شجاع . وبه سمي جد مؤلف هذا الكتاب كما ترى

الصفحة ١١١ من هذا الكتاب « ومن ظريف الغلط الواقع ما روي من ان النبي صلى الله عليه وسلم وهب لعلي رضي الله عنه عمامة تسمى السحاب فاجتاز علي رضي الله عنه متعمماً بها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لمن كان معه : اما رأيت علياً في السحاب . او نحو هذا من اللفظ . فسمعه بعض المتشيعين لعلي رضي الله عنه فظن انه يريد السحاب المعروفة فكان ذلك سبباً لاعتقاد الشيعة ان علياً في السحاب الى يومنا هذا »

الباب السابع في الخلاف العارض من قبل النسخ كاختلافهم في هل يجوز ان تنسخ السنة القرآن ام لا وغير ذلك

الباب الثامن في الخلاف العارض من قبل الاباحة كاختلاف الناس في الآذان والتكبير على الجنائز وتكبير التشريق ووجوه القراءات السبع ونحو ذلك
هذه خلاصة هذا الكتاب المفيد فنثني على حضرة ناشره ونتمنى ان يتجف اللغة العربية بغيره من الآثار الاندلسية القديمة

﴿ ريمانة النفوس ﴾

(في انتخاب العروس)

تأليف حضرة الدكتور امين افندي المخوري في المنصورة

لو اتبع كل كتاب الروايات الطريقة التي اتبعها حضرة الفاضل الدكتور امين افندي المخوري في روايته « ريمانة النفوس في انتخاب العروس » لما خلا كثير من الكتب من الفوائد الحقيقية التي لا بأسف الانسان على وقته اذا طالعا . ويسوئنا ان يكون المجال ضيقاً عن تلخيص هذه الرواية الادبية الطبية لاطلاع القراء على فوائدها . على اننا نكتفي الآن بان نقول انها رواية جديدة الاسلوب والموضوع تتضمن من الفوائد العلية والعلمية والادبية ما لا يحده القارىء في رواية غيرها . منها في ختام الرواية مخاطبة الزوجة الشديدة الغيرة على زوجها لانها تراه في شغل عنها بسواها

« البسي ما كان محبوباً لديه وامني ما النفس منه تشمئز
اجمي اولاده بين يديه واشغليه فيهم عمن يعز
لا تلخي بالسوء الات عليه واربه فيك نفس المستعز
وابعدي الغيرة مها فتكت بالحشى فهي نذير الابؤس
وانفري منها اذا ما هجعت كالظبا من اسد مفترس

انت بالحسنى وباللين فقط قد تفوزين لدى ارجاعه
احذري ان تركبي من الشطط ان دعت حالاً الى اقتناعه
وتأني واعلمي ان الغلط يعتري الانسان في اسرعه
انما المرأة من قد ادركت قصدها تحت لواء الانس
لا من الغيرة فيها اشتعلت فاضاعت رشدتها بالهوس
واما الزوج فانه يخاطبه بايات منها
تمنا ويشقى عازب في زعمه بحلاوة هي لو يدوق مرائر
عاب عروسك لا بحضرة تربها ان النساء على النساء ضرائر
من الاوانس ان نصحت بخفية واذا جهرت فانهن نوافر
وامنع بمنزلك الشراب واهله فاذا ابتليت به فانت الخامر
والرواية كلها على هذا الاسلوب . وقد يكون فيها اشياء نسائية خصوصية لا يستحسن
وجودها في كتاب يقع بين ايدي الجنسين ولكن يجوز للطبيب ما لا يجوز لسواه لان ذلك
من شؤون وظيفته في المجتمع البشري

﴿ اسرار البلاغة ﴾

تأليف الامام عبد القاهر الجرجاني

اسرار البلاغة كتاب في علم البيان للامام عبد القاهر الجرجاني « اول من اسس من
هذا الفن قواعده ووضح براهينه » كما قال السيد يحيى بن حمزة الحسيني صاحب كتاب
الطراز في علوم حقائق الاعجاز . وقد اتى جناب العلامة الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي
الديار المصرية هذا الكتاب دروساً في الجامع الازهر ثم عني بتصحيحه ونشره مع حضرة
رصيفنا وصديقنا الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الاسلامي . وقد قدم
حضرة الرصيف لهذا الكتاب مقدمة طويلة قال فيها ما نصه

« لما هاجرت الى مصر في سنة ١٣١٥ لانشاء (المنار) الاسلامي الفيت امام النهضة
الاسلامية الحديثة الاستاذ محمد عبده رئيس جمعية احياء العلوم العربية ومفتي الديار
المصرية اليوم مشتغلاً في بعض وقته بتصحيح كتاب دلائل الاعجاز للامام عبد القاهر
الجرجاني وقد استحضرت نسخة من المدينة المنورة ومن بغداد ليقابلها على النسخة التي عنده
فسألته عن كتاب (اسرار البلاغة) للامام المذكور فقال انه لا يوجد في هذه الديار

فاخبرته بأن في احد بيوت العلم في طرابلس الشام نسخة منه فحني على استحضارها وطبعه فطلبها من صديقي الحميم العالم الاديب عبد القادر افندي المغربي وهي مما تركه له والده فلبى الطلب . وعلمنا ان نسخة اخرى من الكتاب في احدى دور الكتب السلطانية في دار السلطنة السنية فندبنا بعد طلاب العلم الاذكياء لمقابلة نسختنا بتلك النسخة فخرج لنا من مجموعها نسخة صحيحة شرعنا في طبعها ووضعنا في ذيل المطبوع شرحاً لطيفاً ضبطنا فيه الكلمات الغريبة وفسرنا منها ومن جمل الكتاب ما رآناه يستحق التفسير واشرنا الى الخلاف بين النسختين فيما يحتمل صحة الاثنتين »

ومما لا يحتاج الى بيان ان طلبة البيان واساتذته لا يستغنون عن هذا الكتاب الثمين وهو يطلب من جميع المكاتب ومن ادارة مجلة المنار في العاصمة وقد نشر حضرة الرصيف الفاضل منشىء المنار في ذيل هذا الكتاب شهادات العلماء والمجلات والجرائد اثباتاً لفضل المنار وفوائده منها قول لدولتو مختار باشا الغازي وهذا نصه « ان المنار جريدة عارية عن الاعراض الشخصية وبريئة من الموضوعات الفاسدة وان العالم الاسلامي يفتخر بوجودها » فنحن ندعو لرصيفتنا المفيدة بكل توفيق ونهنئها بما نالته من الاقبال والنجاح

﴿ الدنيا في باريز . وقاموس الجغرافية القديمة ﴾

لمؤلفها جناب عزتو احمد بك زكي

لما زار حضرة الكاتب العامل عزتو احمد زكي بك السكرتير الثاني لمجلس النظار معرض باريز منذ عامين وضع كتاباً وصف فيه جزئيات هذا المعرض وكلياته وصفاً دقيقاً مقروناً برسوم عديدة ومما « الدنيا في باريز » . وقد تم الآن جمع هذا الكتاب واهدانا حضرة مؤلفه الفاضل نسخة منه فنشكر له هديته وربما نقلنا عنه في فرصة اخرى ما فيه فائدة وفكاهة للقراء . وفي هذا المقام نتني على رصيفنا طيب العائلة اجمل ثناء لانه تولى نشر هذا الكتاب المفيد

وقد وصلتنا مع « الدنيا في باريز » نسخة اخرى من كتيب عنوانه قاموس الجغرافية القديمة وهو من تاليف جنابه ايضاً وقد طبع منذ ثلاث سنوات . وقد قال المؤلف في مقدمته « اذا نال هذا الكتاب الصغير من الاقبال ما هو خليق به تشددت عزمي لابرار المعجم الكبير الوافي الذي جمعته في هذا الموضوع المفيد » اما موضوع هذا الكتيب

فهو ايراد « الاعلام الجغرافية التي لها ذكر في تواريخ الاقدمين » مثال ذلك قوله في باب الهمة « الاسكندرية . اكبر ثغور مصر وكان اسمها عند قدماء المصريين راكوتي وعند اليونان راكوتيس وعنهما رافودة في كتب العرب مثل المقرئ وغيره » وقوله في حرف الدال « دجلة . نهر مشهور باسيا ويسمى عند الاشوريين ايديجلات ومن الغريب انه لا يصح وضع ادات التعريف على اسمه العربي ولكنها واجبة حتماً في اسمه عند الافرنج (له تيكو) ويموز في العربية تانيثه على اللفظ وتذكيره على نية المعنى »

ومن ذلك يظهر ان هذا الكتاب مفيد جداً ولكن لجماعة الكتاب والمترجمين دون سواهم فاذا نشر جناب زكي بك قاموسه الكامل الشامل الذي اشار اليه افادهم افادة يحتاجون اليها وراح نفسه مما يعانيه احياناً من اصلاح بعض اغلاط من هذا القبيل في منشورات يوزعها على الجرائد اليومية

* كتاب حريق ميت غمر * زار حضرة رصيفنا عزتلو محمود بك حسيب صاحب « مجلة المجلات العربية » ميت غمر ووضع كتاباً في الحريق الهائل الذي حدث فيها وتبرع بثلث هذا الكتاب اعانة للمتكربين فنحن نشكره على هذه الهمة والغيرة في جملة الشاكرين ونحث الادباء على اتباع هذا الكتاب

* التحفة العامية * هي كتاب حسن الطبع والتجليد لمؤلفه حضرة شكري افندي الخوري . وموضوعه رواية فكاهية مكتوبة باللغة العامية اللبنانية . ولكن من مزية هذا الكتاب انه ارانا للمرة الاولى وجوه رصفائنا الافاضل في البرازيل لانه تضمن سذرات عن جرائد البرازيل ورسوم اصحابها الذين لهم الفضل في نشر اللغة العربية في تلك الاقطار البعيدة فنشكر لصاحب الكتاب هديته

* انتقام النساء * هي رواية ادبية لمؤلفها جناب رصيفنا عبده افندي بدران صاحب جريدة الصباح الغراء . وموضوع هذه الرواية بحث فلسفي في حالة التمدن الحالي وسيرد فيها مؤلفها برواية اخرى في حالة التمدن بعد الف سنة . فنثني على اجتهاده وبراعته

﴿ مجلة الاحكام الشرعية ﴾ مجلة الاحكام الشرعية بمجلة قضائية شرعية اديبة يحتاج اليها القضاة والمحامون في القطر وهي لمنشئها جناب الفاضل عزتلو حسن بك حماده المحامي في العاصمة وقيمة اشتراها ٦٠ غرشاً صاعاً في مصر و ٢٠ فرنكاً في الخارج . فنحن نرحب بها وندعو لها بالنجاح

﴿ قانون جمعية الشبان السوريين ﴾ الف بعض الشبان السوريين في ريو دي جنير و جمعية دعوها « جمعية الشبان السوريين » وغرضها « توحيد كلمة مشتركها بما يأول لاعلاء شانهم اديباً ومادياً » فنحن نرحب بهذه الجمعية ونثني على مؤلفيها واعضاءها الافاضل ونتمنى ان يزول من اميركا دور النفور والانشقاق بين ابناء الوطن الواحد

﴿ جراب الكردي ﴾ جراب الكردي جريدة هولية اسبوعية صدرت في نيويورك لصاحبها جناب انطون افندي انسطاسي زريق وقيمة اشتراها ربالان ونصف فدعو لها بالنجاح

﴿ التمس المصري ﴾ هي جريدة اسبوعية سياسية تصدر في العاصمة باللغة الانكليزية والعربية لمديرها ومحرر القسم العربي فيها حضرة سالم افندي سيدهم تادرس . فترجو لها الثبات

﴿ كتاب للحساب ﴾ اهدى الينا حضرة عوض افندي خليل ناظر مدرسة الاجتهاد الوطنية ببولاق نسخة من الجزء الاول من كتابه في الحساب وهو يحتوي على « مقرر السنة الاولى الابتدائية » فنشكر له هديته

﴿ الدروس الابتدائية ﴾ وضع حضرة سيد افندي محمد مدير المدرسة التحضيرية في العاصمة كتيباً عنوانه « الدروس الابتدائية في المبادئ الجغرافية » وهو يشتمل على « مقرر السنة الاولى الابتدائية » فترجون ان ينتفع الطلبة بهذا الكتاب

آثار الشرق القديمة

مدرسة موسى عليه السلام

﴿ هيكل سيني ﴾

وصف التعليم في المدارس المصرية القديمة وعلاقتها بالهياكل وظهور
الوحداينة بعد تعدد الآلهة

كما اشتهرت به مصر في الزمن القديم مدارسها التي كانت المدارس المنظمة الاولى التي
نشرت في العالم نور المدنية والعلم . ولقد ورد ذكر هذه المدارس في رواية وردة التي
وضعها الدكتور جورج اهرس المستشرق الالماني الشهير ووعدنا القراء بتلخيصها في بعض
الاجزاء السابقة . فانجازاً للوعد نذكر ما ورد في هذه القصة المفيدة عن مدرسة بيت سيني
التي يقول المؤلف ان موسى الحكيم نبي بني اسرائيل قد ربي وتثقف فيها . وقد استخرج
المؤلف هذه الفوائد من الآثار القديمة واوراق البردي

وكانت المدارس في ذلك الزمن مقرونة بالهياكل كما يقرنها المعاصرون اليوم بالكنائس
والجوامع . وقد بدأ المؤلف قصته بوصف بيت سيني (هيكل القرنة) لان اهم حوادث
الرواية مبنية على رئيس الكهنة الذي يقيم في هذا الهيكل . وكان هذا الهيكل اعظم
هياكل طيبة في زمن هذه القصة اي في القرن الرابع عشر قبل الميلاد . وقد شرع في
بنائه رعمسيس الاول واتمه سيني الاول فسمي باسمه

« وقد خصص الملك مرتبات وافرة من المال لهذا الهيكل والمدرسة الكبرى والمدارس
العديدة الصغرى التابعة له وانصرفت العناية الى انشاء هذه المدارس على مثال مدارس
هيلوبوليس (١) ومنفيس لمنافستها في ميادين العلوم والمعارف حتى تفوق طيبة
التي جعلت وقتئذ عاصمة مصر العليا (الصعيد) شأ ومداين مصر السفلى (الوجه البحري)
التي كانت في ذلك العهد مركز دائرة العلوم ومنبعث انوار العرفان »

وكانت المدارس التابعة لبيت سيني تمتاز « بوجود مدرسة عالية فيها يتلقى فيها نجباء

الطلاب علوم الدين والطب والحقوق والرياضة والفلك والنحو الخ على علماء تزلعوا في هذه الفنون . وكان عدد التلامذة في كل مدرسة مائة تليد « ولا يقبل فيها غير أبناء الوطن الاحرار بلا فارق بين غني وفقير او عزيز وحقير على شرط ان يدفع اهلهم او اولياء امرهم مبلغاً محدوداً في مقابل ما يتناولونه من الغذاء . وكان التلامذة الداخلية من ابناء الاكابر والاعيان يقيمون في مكان مخصوص حيث يكونون تحت مراقبة الكهنة . وكان التلامذة يعاقبون بالضرب بالعصي حيث كانت هذه العقوبة شائعة في المدارس كما يدل عليه المثل السائر في ذلك العهد « ان آذان التلامذة في ظهورهم فهم لا يسمعون الا اذا ضربوا »

« وكان يوجد عدا هذه المدارس مدارس الفنون والصنائع التي كان الطلاب يتلقون فيها ما يلزم من العلوم لتخريج مهندسي العارات والنقاشين والمصورين . ونظام التعليم فيها هو بذاته في الاولى اي ان التليد يختار المعلم الذي يامل بالتلقي عنه الوصول الى ذروة التقدم والنجاح . وكان يبلغ عدد الاساتذة كلها ٨٠٠ استاذ تخرجوا باجمعهم من بيت سيني وينقسمون الى خمس درجات ويرجعون في امورهم الى ثلاثة رؤساء يسمون (الانبياء) وكان اول هؤلاء الانبياء مرتبة وارقام درجة في العلوم والفنون رئيس كهنة بيت سيني وكبير قسوسها »

اما بيت سيني نفسه فقد كان بناء « وطيد الجدران يصل الانسان اليه من طريق قويم آخذ من حفة النيل الى باب السور المحيط به . فاذا دخل من هذا الباب وجد نفسه في فناء واسع يحيط به من الجهات الاربع صفان متوازيان من الاعمدة الضخمة . وشاهد امامه حيال الباب الذي دخل منه باباً آخر صرف المهندسون حذفهم في تنسيقه وتجميله . والى جانبه هرمان ناقصان قد زادا في جمال الهندام وبهجة المنظر . وهذا الباب يوصل الى فناء ثان يشبه الاول في اتساعه وشكله لكنه لا يوجد به سوى صف واحد من الاعمدة في الجهة المقابلة للدخل الذي اتينا على وصفه »

« وكان يوجد خلف بيت سيني منازل كبيرة اشبه في شكلها بالمكعب مبنية بالطوب التي اتخذ من طمي النيل ومطلية من الخارج بطبقة من الجير قد رسمت عليها الصور والنقوش المير وغرافية . وتلك المنازل كانت معدة لاقامة الكهنة والعلماء المدرسين . وكان نظامها الهندسي من الداخل واحداً لاحتوائها على فناء تحيط به مشاة طويلة من الخشب توصله الى حجرات الاساتذة وفي وسط الفناء نافورة ينبط منها الماء على الدوام في حوض تحيط به شجيرات الازهار وتنصرف منه المياه في مسارب متعددة حتى لا تبقي فيها آسنة .

اما الطلاب فكانوا يقيمون في الطبقة العليا من هذه المساكن ويشلقون الدروس في فناء غير هذا الذي وصفناه جالسين فوق حصيرة مبسوطة على الارض »

« وكان مسكن كبير الانبياء الثلاثة ورئيس كهنة بيت سيني قائماً على مسافة مائة خطوة خلف هذا البيت تكنفه من الجانبين اشجار ذات ظلال وكان يعرفه القصاد من بعيد بالاعلام الكثيرة التي تخفق فوق سطوحه وكان الانبياء لا يقصدونه الا لاداء الواجبات المفروضة عليهم نحو النبي الاكبر ثم ينصرفون الى طبية الاحياء حيث يسكنون في منازل خاصة بهم مع عائلاتهم »

اما حجرة رئيس الكهنة في هذا الهيكل فاليك وصفها « كانت هذه الحجرة من اوسع حجرات الهيكل واحسنها شكلاً حيث كان نصفها الاسفل الى ما يوازي ارتفاع القامة مكسواً بمربعات من الخرف والباقي مزيناً بالصور والنقوش العجيبة وكان لا يوجد بها من المتاع سوى مائدة كبيرة وسرير للاضطجاع عليه متكأ من سن الفيل مصنوع على شكل الهلال وفروة فهد ومقعد صغير وكراسي عديدة وخزانة فيها اوان من معدن وقدر من صلصال واخرى تحتوي على قنينات وقوارير من زجاج وغير ذلك من العلب المختلفة الاشكال والافدار وكثير من محار البحر . يضيء هذا كله ثلاثة مصابيح مملوءة بزيت الخروع تشبه الطيور في صورتها »

واما لباس رئيس الكهنة فاليك صفته « كان لباس الرئيس ثوباً من التيل ناصع البياض كثير الثنيات سابلاً الى كاحل القدم عليه وشاح ذو اهداب مسترسلة يحيط بخاصرته معقود من الامام في نقطة ينسدل منها طرفاه الى ما يوازي الركبتين وثناسك اجزاء هذا الثوب الكهنوتي بجائل من المقصب . وكان بعنقه عقد من اللؤلؤ والاحجار الكريمة على شكل قضيبين من سعف النخل متقاطعين من اسفل وبمقصيه دملجان عريضان من الذهب الابريز »

اما المعبد في هيكل سيني فقد ورد وصفه في الاسطر التالية « وكان المدخل الاكبر للهيكل مفتوح الابواب بحيث يرى الواقف امامه ما يليه من فناء المذبح المبلط بالمرمر الصقيل وحوله ثلاثة صفوف متوازية من الاعمدة الضخمة الراسخة على قواعدھا المتينة فينبر من تناسق النقوش التي غطيت بها الجدران والافاريز والاعمدة وتيجانها وما جمعت من جمال الهندام وحسن النظام ويرى في وسط ذلك الفناء مذبح القرايب وحوله المباخر المعدة لاحتراق كرات الربني (نوع من البخور) تسطع منها الروائح العطرة فتملأ رحب المكان



﴿ تماثيل بعض الفراعنة منقوشة على جدار في هيكل سيني ﴾

وتستعمل من يستنشقها الى سنة من النوم »

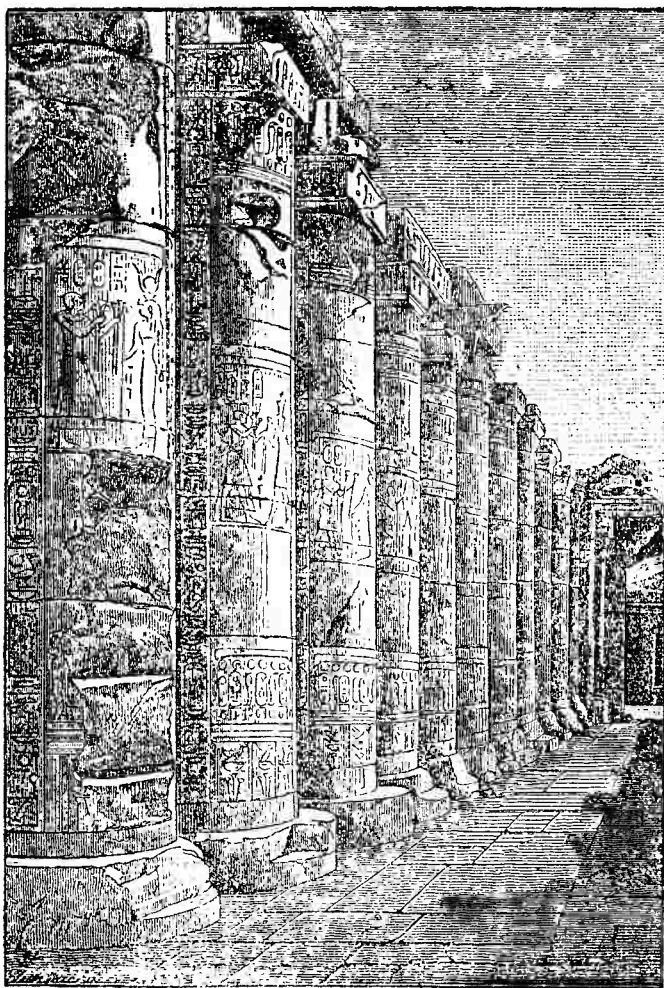
« وكان الاهالي مجهلون ما يقع بداخل الهياكل من الرسوم الدينية لانها كانت محاطة باسوار عالية فيها ابواب لا تفتح الا للكهان ساعة خروجهم الى الخلوات جماعات متتابعات في وقت شروق الشمس وغروبها للتغني بالاناشيد الدينية تعظيماً وتبجيلاً للالهين هوروس وطوم (١) »

« وكان كثيرون من كهان بيت سיתי يزاولون حرفة الطب لانهم بعد اتمام الدراسة في هذا البيت واحرازهم رتبة الكاهن او درجة العالم كان من يريدون منهم النبوغ في علوم الطب يذهبون الى مدينة هليوبوليس (عين الشمس) حيث كانت توجد اقدم واكبر مدرسة طبية في الديار المصرية » وبعد اتمامهم دروسهم في هذه المدرسة الكبرى يعودون الى طيبة و يقيمون فيها « تابعين لنظام الكهنوت بمعنى انه اذا مست الحاجة الى طبيب فلا يطلبه الراغبون من منزله بل من هيكل سיתי حيث يقابلون رئيس الاطباء ويخبرونه باسم المريض و يصفون له اعراض مرضه فيرشدهم الى الطبيب المنقطع لعلاجه »

ذلك ان كل واحد من الاطباء المصريين القدماء كان ينقطع الى فن واحد من فنون الطب كالجراحة مثلاً او امراض العيون او غير ذلك ليبرع فيه براعة تامة . « وكان الاطباء كالكهنة يعيشون من ايرادات الاملاك الموقوفة للهياكل والضرائب المفروضة برسمهم على الاهالي والنذور التي يقدمونها الى الآلهة ولذا كانوا لا يقبلون من احد جزاء (اية اجرة) مقابل علاجهم لمرضه لان المريض كان اذا شفي من الاسقام التي اصابته بعث بالنذور والهدايا الكثيرة الى الهيكل الذي ينتهي اليه الطبيب الذي نجح في معالجته . وكان من العقائد الراسخة في اذهان العامة وقتئذ ان الشفاء من المرض يتوقف على النذور والقربان اكثر منه على مهارة الطبيب . ومن الحقائق المقررة في التاريخ ان قدماء المصريين بلغوا في المعارف الطبية شأواً بعيداً »

اما التلامذة في بيت سיתי فانهم بعد نيلهم « مرتبة عالم فقيه او كاتب نبيه لم ان يتفرغوا للكسب بمعلوماتهم وكانت لهم في المدرسة دار للكتب عظيمة الاتساع بها الوف من

(١) يشبه قدماء المصريين حياة الانسان بالشمس في مسيرها فشرورها رمز الطفولية وتسمى فيه (هوروس) وبلغوها الاوج رمز الفتوة والشباب وتسمى عنده (را) وافولها رمز الشيخوخة والهرم وتسمى فيه طوم (حاشية للمعرب)



﴿ احد جدران الهيكل الداخلية ﴾

المؤلفات النفيسة المكتوبة بخط اليد يرتبط بها معمل لصناعة ورق البردي (الذي كان يكتب عليه المصريون يومئذ) وكان البعض منهم تَنَاطَبَ به ادارة المدارس المتحققة بتلك المدرسة العليا »

وكل هذه القصة التاريخية الجميلة مبنية علي المسألة الدينية . فان رئيس كهنة بيت سبتي الذي كان في قبضته السلطان الديني الاعلى كان شديد الحفظ للتقاليد الدينية حتى

انه اجترأ على طرد ابنة رعمسيس من هيكل سيتي لانها رامت الدخول اليه وهي نجسة . وما الذي كان سبباً في نجاستها ؟ السبب هو انها بينما كانت قرب طيبة تسوق خيلاً جاءتها من الشام واذ داست الخيل ابنة احد دافني الموتى . فذهبت ابنة فرعون الى كوخ هذه الفتاة لثقتها وتعزيبها . فمذ ذلك الحين اصبحت نجسة لمخالطتها دافني الموتى . ولما جاءت هيكل سيتي طردها رئيس الكهنة بقوله على لسان المؤلف « اعلي يا بنت انات ان القصور الباذخة التي شادها والدك ونضد ابنتها على اجل هندام انما هي قائمة على اعناق افراد الامة المصرية فاذا فككت عقال التقاليد القديمة التي تربط هؤلاء الافراد فلا مناص من التجاوز والتدابير المفضيين بلا ريب الى تداعي تلك الجدران »

اما الشاعر بنطاوهر تليذ رئيس الكهنة فانه قال له « ان الاله (را) الذي يجوب السموات العلى في زورقه الذهبي يبعث اشعته الشمسية الى اكواخ الفقراء كما يبعثها الى قصور الفراعنة ودور الاغنياء بلا فارق ولا يميز فلماذا تكون بيوت هؤلاء مطهرة واكواخ اولئك مدنسة »

فاجاب رئيس الكهنة « لا تدري ان العلم يشبه النار . اذا وجدت بيد من يحسن تدبيرها والتصرف فيها نفعتهم واذا وجدت بيد طفل — والشعب يبق دائماً في دور الطفولية — احدثت حريقاً يلتهم كل ما شيد في الازمان الغابرة من جميل الآثار وحميد الفعال . وقد كانت جذوة النار التي اوردت لك ذكرها على سبيل المجاز موجودة بين جدران من النحاس يمر الشعب من جانبها بدون علم بها . اما اليوم فقد رايت ثلثة في هذه الجدران . ونحن نستنزل اللعنات على الكهان الذين يزيدون تلك الثلثة اتساعاً » ولكن هذه الثلثة لم تلبث ان زادت اتساعاً لان العقل البشري كالبخار اذا ضغطته وزدت الضغط فجر الآلة وكسرها تكسيراً . ولذلك لم يلبث ان قام من قدماء المصريين نشأة جديدة نبذت عبادة الالهة المتعددة كالشمس والكلاب والسمك والقطط والعجول وعرفت الاله الواحد . وكان الشاعر بنطاوهر الذي تقدم ذكره من تلك النشأة الجديدة . وفي ذلك يقول المؤلف قبل ختام القصة في فصل عنوانه « ابن يجد المرء ربه » ما ملخصه

وقف بنطاوهر بعد خلاصه من الامر على هضبة ضيقة امام جبل سيناء قبل شروق الفجر فرأى « بريق الكواكب الساطع يبهت شيئاً فشيئاً تلاشيًا وتفايلاً امام ضوء الفجر المنبجج » وما زال الليل يولي الادبار حتى سطع النهار وارسمت في العيون قات تلك الجبال تتسحب فوقها السحب كدخان يتصاعد من بورة النار » ولم يكن بها من دلائل الحياة

غير سر كان يخلق بجانيه العربيين حول بنطاور وهو يتأمل في عجائب الخليقة واسرار الكائنات من تلك القمة العالية « ثم « هب نسيم لطيف انقشع بسببه الضباب الذي كان كحجاب يحجب النظر عن رؤية الوادي وانبعثت اشعة الشمس من وراء الافق فكلت هام جبل سيناء بتاج من الذهب « فصاح حينئذ بنطاور : انت الواحد الاحد انت الواحد الاحد

ثم التفت فابصر وراءه شيئاً طويلاً ليلية جليل المنظر فقال له « لقد عرفتك فانت ميسو (١) وسبب معرفتي لك انني كنت طفلاً في (بيت سيتي) اتلقى المبادئ حينما تخرجت انت منه نابغاً في العلوم والمعارف . وقد اطلعتني اميني (رئيس الكهنة في بيت سيتي) كما اطلعك على سر الاعتقاد بوجود اله واحد . فقال ميسو وقد نظر بعين التأمل والاعجاب الى الافق الذي كان يزداد سطوعاً من جهة الشرق : اما اميني فلا يعرف من الاحدية شيئاً » وعند ذلك برزت الشمس من وراء حجاب الافق « فاول حركة بدرت من بنطاور (بطل الرواية) (٢) ان استقبلها بوجهه وبدأ في الصلاة . فلما انتهى منها شاهد ميسو يصلي ايضاً غير انه كان مستقبلاً الغرب ومستدبراً الشرق . فلما اتى على آخر صلاته ساله لم استدبرت وجه الشمس ونحن انما قد تعلمنا كلانا في المدرسة وجوب استقباله بمجرد اشرافه . فقال ميسو : اني اعبد الها غير ما تعبد . الشمس والكواكب مسخرات لامره . فقال بنطاور ارشدني الى طريق هذا الاله القادر . فقال ميسو : اجث عنه تجده لانك كابدت الآلام وقاسيت مشاق المتربة . واعلم انه تجلي لي في مكان مثل هذا وفي صبيحة يوم كهذه — قال هذا وذهب في سبيله »



(١) ميسو هو موسى باللغة المصرية القديمة . وحوادث هذه القصة حدثت في عهد رعمسيس الثاني الملقب بالكبير (سيزوستريس) وكان موسى معاصراً له فيما يقال وفي عهد خلفه خرج الاسرائيليون من مصر على ما هو مشهور

(٢) كان الشاعر بنطاور من شعراء الملك رعمسيس حقيقة وقد نشرنا كتاباً بشأنه في الجزء الاول من السنة الثالثة الصفحة ٥٥

باب تدبير الصحة

ننشر في هذا الباب بعض الفوائد والشذرات الصحية والنبينة التي تهم القراء والقارئات مما يتعلق بحفظ الصحة وتدبير شؤون المنزل

* شراب لذيد مقوّ لضعفاء الاجسام *

ضع في اناء ٣٠٠ غرام من مخ البيض (صفاره) و ٦٠ غراماً من الماء ثم امزجها معاً مزجاً شديداً وبعد ذلك اصف اليها ٣٠٠ غرام من الغليسرين و ١٠ غرامات من ماء لوريه سريز و ١٨٠ غراماً من السكر و ١٢ غراماً من كلوريد الصوديوم و امزج هذه المواد كلها مزجاً جيداً بغير نار فيكون لك منها شراب لذيد مقوّ للناقهين وللمصابين بفقر الدم والضعف العصبي والسل وتكون كل ملعقة منه بقدر ملاعق الطعام الاعتيادية مشتملة على ٥٥ في المائة من الليستين الذي لا تخفى فائدته في مداواة الامراض التي تقدم ذكرها

* القهوة وطعمها *

اذا صنعت ربة البيت القهوة من ماء غير مقطّر وصنعتها من ماء مقطّر كانت القهوة المصنوعة من ماء مقطّر الذّا طعماً واذكى نكهة لان الكربونات الترابية التي تكون في الماء قبل التقطير تضعف نكهة القهوة . وكذلك الحال في البيرة (الجعة) ولذلك يقطرون الماء الذي يستعملونه لها

* طريقة بسيطة لمداواة الصداع *

كثيراً ما يتسلط الصداع على الانسان ولا يكون له من سبب غير رطوبة القدمين . فالطريقة لازالة الصداع في هذه الحالة وضع عدة ملاعق من مسحوق الخردل في الحذاء او في الجرابات « الكلسات » قبل لبسها في القدمين

* حفظ الزبدة *

ضعي الزبدة في اوعية ضيقة النّفم لكي لا تكون كثيرة التعرض للهواء . وفي الصيف

ضعي وعاء الزبدة في ماء بثر بارد لكي لا تسيل . ولا تضعي الزبدة بجانب مواد رأتحتها
غير طيبة لان الزبدة سريعة الامتصاص للروائح التي تعرض لها

﴿ طريقة بسيطة لتسكين غيظ ابنة صغيرة ﴾

اذا اغتاظت فتاة صغيرة ولم تعد تترك البكاء فلاسكتها طريقة بسيطة وهي ان
تلبسها امها اجمال حلة عندها فتنبسط نفسها من تاثير حلتها (فسطانها) وتترك البكاء .
وربما كانت هذه الطريقة غير مختصة بالصغيرات فقط ...

﴿ تعطير ورق المراسلات ﴾

لذلك عدة طرق . منها وضع الورق في خزائن السيدات بازاء عليهن الجميلة فيتعطر
من رأتحتها . ومنها رش ورق " النشاش " بشيء من الطيوب ومتى وضع على الورق
اعاره شيئاً من ريحه الطيب

﴿ البيض وفساد طعمه ﴾

ثبت ان الدجاج التي لا تتغذى الا من اللحم يكون بيضها كبيراً ولكنه ذو طعم رديء .
واما حفظ البيض فطريقته غمسه في محلول الكلس " الجير " الا ان الجير قد ينفذ الى
داخل البيضة ويفسد طعمها فحذراً من ذلك امزجه بملح الطعام على نسبة ٦ اجزاء منه في
مائة جزء من الجير

﴿ طريقة فعالة لشفاء الحرق ﴾

اذا احترقت يدك فضع على موضع الحرق خرقه مبلولة بالمزيج التالي : عشرة غرامات
من حامض البيكريك في الف غرام من الماء . فيخف الالم في الحال وبعد ذلك يشفي
الجرح دون ان ينتفخ . وقد تنجح في ذلك كلورات البوتاسا ايضاً ولكن حامض البيكريك
اشد فعلاً . واذا اصفر موضع الحرق من هذا الحامض فازل اصفراره بـكربونات
الليتين . وهذا الدواء فعال ولا مثيل لاثايره كما قال الطيب الذي جربه

عقد الصلح

الانسانية تكمل البوير في شخص الجنرال دلاري



احسن رسم مثلث به جرائد العالم عقد الصلح بين الانكليز والبوير الرسم الذي طبعنا في هذا الفصل . ففيه الترنسفال ممثلة في شخص الجنرال ديلاري الذي اظهر في آخر الحرب دهاء غريباً . والانسانية ممثلة في شخص عذراء وهي تمد يدها لتكمل تلك الامة الصغيرة الباسلة جزاء لها على ما ظهر منها من البسالة في الدفاع عن وطنها وعن حريتها حتى انها تكاد تكون الغالبة في نظر الناس مع انها مغلوبة

اما شروط عقد الصلح فخلاصتها ان الحكومة الانكليزية تدفع للبوير ثلاثة ملايين جنيه لاعداد بناء مزارعهم وتعدم بانشاء حكومة نيابية لم يحكمون بها انفسهم بانفسهم تحت سلطة جلالة الملك ادوارد السابع ملكهم . والعفو عن جميع الذين اشتركوا في هذه الحرب من الاورانيين والترانسفاليين اذا رضوا بشروط الصلح والاذن لهم بالعودة الى بلادهم . واما الهولنديون من رعايا الكاب والناثال الذين شاركوا البوير في الحرب وحملوا السلاح ضد حكومتهم (الحكومة الانكليزية) فانهم يُحاكمون متى سُموا ولكن لا يُحكم عليهم

بالاعدام بل بالتجريد من حقوقهم المدنية فقط واذا لم يسلموا يُحاكمون كخائنين للمملكة
ولقد عمّ الفرح انكثارا والعالم اجمع لهذا الصلح الشريف للفريقين . وبلغ عدد المسلمين
من البوير ١٨ الفا . وبدأت روابط الوداد بينهم وبين الانكليز كما اشارت الى ذلك
التأخرات العمومية

فنحن نحمد الله تعالى لحقن الدماء في جنوبي افريقيا . ويحق لكل عاقل الثناء على
جلالة الملك ادوارد السابع لان عقد الصلح ينسب اليه وذلك لرغبته في ان لا يسفك دم
في يوم نتويجه الذي اُجل الى فرصة اخرى لما ألمّ به من المرض . شفاء الله تعالى

مراسلات بين بنات شرقيات

✽ لا يقرأها احد غير القارئات ✽

صورة كريمة وصورة سليمة . المجال لا ينفك كثيرا ولا بدوم طويلا . افار الارض وقهر السماء في ليلة فوق
حديقة . مثال للكمال والمجال غير كامل . تحت جوة في حصرون . النشاط اللباني والحكمة في فم طفلة
لبنانية . المعمدة في الحياة الاستعداد لواجبات الحياة

عزيزتي وتليذتي كريمة

كتب اليّ حضرة والدك العزيز يستشيرني في امر مختص بك وبمستقبلك وبعث اليّ
في ضمن كتابه بصورة الكتابين اللذين دارا بينك وبين صديقتك سليمة في مصر . وقد
سالني ان لا اخبرك شيئا عن هذين الكتابين لانه اخذهما من خزانتي على غير علم منك .
اما انا فقد رايت من واجباتي كعلمتك ورئيستك ان اكتب اليك بهذا الشأن
ما هذه الافكار السوداء يا كريمة ولماذا هذا الضجر من الحياة . اعلمي ان ضجرك هذا
شبيه بجمانة الجندي في ساحة القتال . ذلك ايتها العزيرة ان كل انسان في هذه الحياة
كجندي مرسل للقيام بواجباته فيها . فالضعفاء والجناء يتافقون ويشكون من مصاعب
الحياة ومن سآمتها والاقوياء الشجعان يشكرون الله عليها كيفما كانت ويبدلون جهدهم لانمام
الواجبات التي عليهم فيها سواء كانت صغيرة او كبيرة صعبة او سهلة . وكل الناس متساوون
في ذلك : الكبير والصغير

ولقد رايت في كتابك وكتاب المدموازل سليمة صورتين متباينتين للبنات . الواحدة

موجودة في كل مكان . وهي صورتها . والثانية غير موجودة على ما اظن الا سيف نفسك
باعزيزتي . وهي صورتك . ولا اكتمك انني افضل صورتك على صورة سليمة لانها اقرب الى
الواجبات وحقيقة الحياة

فالمدموازل رفيقتك مصابة بالداء الذي فلما تسلم منه فتاة في هذا الزمان وهو داء
التزويق والتثنيق . ولذلك لا ترى في الحياة موجبا للشكوى ما دام فيها النسجة جميلة
وخياطات ماهرات وقبعات فاخرة ومنزهات وشوارع تزيئها السيدات بحضورهن الكريم .
فانا اشفق على الفتاة التي تكون كهذه الفتاة . اشفق عليها لا لانها رديئة بالطبع معاذ الله
فانني اعتقد انه لا يمكن ان يكون بيننا نحن الجنس اللطيف واحدة رديئة بالطبع غير ميالة
الا للتحفة والسنشنة . وانما اشفق عليها لانها تائهة عن الطريق القويمة . نعم ان الجمال
نعمة في النساء وهو هو الذي ينشر السناء والبهاء في الارض حوله كما تنشر الشمس ضياءها
وحرارته المنعشة . ولكن الجمال ليس كل شيء في هذه الحياة ياعزيزتي بل هنالك معيشة
مملوءة بالمصاعب يجب الاستعداد لها . الجمال كزهرة موضوعة على المائدة يشتمها الانسان
حينما بعد حين ويعجب بروائها وشكلها . ولكن هل رايت احدا يشم الازهار دائما .
فالتدع رفيقتك هذه الاوهام الصبانية وتعلم ان جمالها لا يفيد كثيرا في هذه الدنيا .
بل ان الجمال كثيرا ما كان مضرًا . وقد قصدت هنا بالجمال الجمال الذي يعنيه الناس
في هذا الزمان اي جمال الوجه والقامة والملابس والتزويق والتثنيق . ولم اقصد به الجمال
الحقيقي الذي يدوم في السيدات ولا يزيده مرور الوقت عليه الا حسنا ورواء واعني به
جمال النفس فانني اذا تكلمت عن هذا الجمال لم اجد احدا يفهم كلامي

آه ياعزيزتي . كنت بالامس في سهرة جمعت عدة من السيدات . وكنا في قاعة
جميلة مطلقة على حديقة ثلثاعب فيها الاغصان على خيرير الماء بين ايدي النسيم البليل والقمر
يطلع تماما من وراء الجبال في خلال الاشجار على وجوه الحسان الواقفات في النوافذ وهن يصحكن له
او منه كما هن ذكرن بيت الشاعر العربي « وجه المليح يطل من شباك » ولعل سبب ضحكهن
افتكارهن بان ذلك الشاعر لو وقف متاملا في ذلك القمر السماوي والاقمار الارضية التي كانت
امامه لاحترار على اي منها يطلق بيته وفي ايها يقول شعره . وكنت في هذا الاسبوع قد
فارقت شقيقة بعد شقيقة فكانت نفسي منجذبة بالاكثر الى اقمار الارض فاخذت تأمل
فيها في هدوء ذلك الليل على نور شقيقها السماوي . وكانت اشعة هذا الشقيق البعيد تقع
على حللها الجميلة اللامعة وحلاهن الثينة فتكسر عليها تكسرا يبهز النظر . ولكن اجمل

ما كان في ذلك التكسر تكسر تلك الامواج النورية على مباسمهن الوردية . فكان يخجل لي حين رؤية تلك الافواه العنابية الصغيرة تنفتح قليلاً لاستنشاق نسيم الليل البليل او للابتسام لتلك الطبيعة الهادئة الصافية في تلك الساعة ان السماء والارض كلها تنظر في ذلك الحين لتلك السمات السماوية وان القمر أكد لونه خجلاً منها وتستر بسحابة رقيقة ليخفي خجله . على انني لا اعلم اذا كانت السحابة هي التي ستتره او هو الذي استتر بها ولكن اذا كانت هي التي ستتره فان ذلك منها بمثابة تهكم جارح كأنها تقول له بذلك : « استتر في ارضنا اقمرا اجل منك » وما ذلك الا لان هذه السحابة المتهكمة رامت الانتقام من نوره لانه كان كلما داعبها في اعالي الجو يعيرها دائماً بقوله انه مملوء وانها ارضية . ذلك لانها مأخوذة من ماء الارض . فلما خطر لي هذا التصور قلت ان الحق في جانب السحابة . والتفت لئلا يكدراني فابصرت واحدة من الحسان تشير بفتور وتكاسل الى نجم ساطع في السماء كأنها تشير الى ماسة في شعرها . واحدة تقول وهي باسمه : لقد حرد القمر منا . واخرى تشير الى الحديقة وتقول : ما اطيب النوم على بساط في وسطها في هذه الساعة . واخرى تفرك عينيها بالدعجاءين الفاترتين وتقول انظروا ان كل هذا العالم بضيء لنا . فتمثل لي حينئذ ان اولئك الحسان الواقفات بازاء الطبيعة تلك الوقفة هن ملكات الطبيعة وسيداتنا . وان كل ما في الطبيعة من جمال وحسن وجلال لم يُخلق الا لهن ولم يشفق الا منهن . وحينئذ ظهر لي انهن مثال الجمال والكمال في هذا العالم

وفي الحقيقة انهن كن كذلك . ولكن واسفاه في الظاهر فقط . ذلك ان هؤلاء الملكات اهلن المملكة الحقيقية التي هي النفس وصرفن اهتمامهن الى المملكة الوهمية التي هي الجسد . فكل زينة للجسد وكل حلة للجسد وكل جوهر للجسد . واما النفس فلا زينة ولا جوهر ولا حلة لها . ولذلك كان جمالهن واسفاه ناقصاً . ومن سوء الحظ انه ناقص افضل قسميه واحسن جزئيه . فليت السيدات يهتمن بتزيين النفس نصف اهتمامهن بتزيين الجسد

ومثلك يا عزيزتي لا يشرح لها ما هي النفس وما معنى زينتها . فانك تعلمين ذلك بل تشعرين به « في نفسك » ولكن لا بأس بان اذكر لك قصة صغيرة في هذا الموضوع لانني احب اطلعك عليها . فاني في العام الماضي كنت في الحدث فومت السفر الى الارز للاقامة بضعة ايام في ذلك المكان البديع فلما وصلت في سفري الى حصرون استوقفت المكاري ورفيقاتي وجلسنا نستريح هنيهة تحت ظل جوزة مشرفة على الاماكن التي كانت

حولنا . وكانت امامنا اهدن يغطيها ضبابها الاعتيادي وعن شمالنا الحدث على رابية عالية وعن يميننا سور الجبال الشاخمة الذي يكتنف الارز على شكل نصف دائرة تقريباً وتحت اقدامنا نهر ابي علي يجري في وادٍ عميق بهدير يحكي هدير بحر عظيم . وبينما نحن نمتع النظر بهذه المشاهد التي يحسدنا عليها سكان سويسرة انفسهم واذا بابتنتين صغيرتين وفتي صغير مروا بنا وفي ايديهم كتب صغيرة . وكان الفتى يسير بين الابتنتين وقامته اكثر قصراً منها فذكرت قصة « لنا » المشهورة . ثم اجبت ممازحة هذه المخلوقات الطاهرة الجميلة التي لم تعرف بعد شيئاً من متاعب الحياة وشروها فاستوفقتهن وسالتهن الى اين انتم ذاهبون . فاجاب الفتى وهو اجراًهم بالطبع « الى المدرسة » فنظرت في وجهه وفي وجه رفيقته وكان عمر اكبرهم لا يتجاوز عشر سنوات فرأيت في جباههم العالية وخدودهم الموردة واعضاءهم المفتولة دلائل الانفة والنشاط والصحة اللبانية . وكان بينهم ابنة شقراء اللون حمراء الخد الى درجة لو طلت بناتنا ونساؤنا وجناتهن بالدم لما جاءت حمرةهن الصناعية مشبهة لحرمتها الطبيعية . فقلت في نفسي تبارك الخالق العظيم واشتدت مع الشاعر : « وفي البداوة حسن غير مجلوب » وخطر لي حينئذ ما قيل من ان الهواء الذي يربي اجساماً كذلك الاجسام لا يبعد ان ينشأ امة كبيرة اذا اهتم بها حكماؤها ورؤساؤها الاهتمام الواجب وساعدتها الاحوال

ثم انني التفت الى الفتى وسالته : ما في يدك . فاجاب كتاب ديني . قلت هل نتعلم التعليم المسيحي . قال نعم . فسالته وانا اضحك من سوء الي كم شيئاً في الانسان . فبدت حينئذ الدهشة في وجهه والتفت الى رفيقته . اما رفيقاقي فاخذن يضحكن من هيئته « المسخنة » فالتفت الى الابنة التي كانت تظهر لي اكثر نباهة وسالتهما تعرفين انت كم شيئاً في الانسان . فاجابت نعم : فيه شيئان نفس وجسد . فبلغت مني حينئذ الدهشة مبلغها . فسالتهما واين النفس واين الجسد . فاجابت اما الجسد فهذا واشارت الى ذراعها وصدرها واما النفس ففي داخله . فقلت لها ودهشتي زائدة : هل لديك علامة تعرفين بها الاشياء التي تخص النفس والاشياء التي تخص الجسد . فاجابت ضاحكة : نعم . فاني اذا عملت شيئاً وسررت به لذاتي فانه يكون تابعاً لجسدي واذا عملت شيئاً بسرٍ سواي وينفعه فانه يكون تابعاً لنفسي

فالتفت حينئذ الى ما حولي لارى اين انا ؟ اعلى جبل سيناء حيث نزلت الحكمة الاولى ام على جبل الزيتون حيث نزلت الحكمة الثانية . ذلك لان كلمة هذه الفتاة البسيطة

مشقة من اسمي اصول الحكمة والفلسفة . غير انني لم اجد نفسي واسفاه الا تحت جوزة في اعالي لبنان . فاخذت الفتاة بين ذراعي واوسعتها ثقبيلاً ولكنني كنت متوقفة انها حفظت تلك الالفاظ حفظاً كما تحفظها البغاة من غير ان تعرف حقيقة معناها

وحقيقة معناها ان اعظم فضيلة من فضائل النفس وادل عاطفة عليها هي « الايثار » اي تفضيل الانسان غيره على نفسه من بعض الوجوه والرغبة في خدمته ونفعه . وهذه الفضيلة هي مقياس مدينة الشعوب والافراد على حد سواء . فاشعب المرتقي ارتقاء حقيقياً يكون الايثار عنده في اسمي مظاهره والفرد الكامل التهذيب والمدينة يعرف من رغبته في خدمة غيره وحبه نفع بني جنسه . فاعظم صفة للانسان على هذه الارض ذكراً وانثى هي ان يخدم غيره ويعمل لنفعه واحط صفة له هو ان يقصر همه واهتمامه على نفسه . تاملي هل لولا انكار الام والاب ذاتهما لا يثار ولدهما عليهما تقوم للعائلة قائمة . وهل لولا انكار الامة ذاتها وخضوعها لمبداء السلطة والهيئة الحاكمة التي تمثل هذا المبدأ يقوم للحكومة نظام او تنتظم فيها هيئة ممدنة . فالايثار الايثار هذا هو النظام الكامل الخاص بالانسان سيد المخلوقات

فانظري الآن يا حبيبتي الى هذه الفضيلة العليا وقابلي بينها وبين كتابك وكتاب رفيقتك . انكما كلتان كما لا تطلبان المعيشة بموجب هذين الكتابين الا لذاتكما . فانت نقولين في كتابك انك قد سئمت من الحياة لانك لا تجددين فيها شيئاً يسرك . كانك ما خلقت الا للسرور فقط . وهي نقول ما احلى الحياة مع الانسجة الجميلة والحلى والحلل والقبعات والسهرات والمنزهات . كأن المرأة لم تخلق الا لتبقى العوبة بين ايدي الخياطات او فرجة لابناء السبيل . كلا يا عزيزتي كلا . المرأة ليست فرجة ولا لعبة . المرأة هي ذلك المخلوق المقدس الذي براه الله من الطف عنصر والتي على ظهره اثقل الاحمال ليكون فضله كاملاً . وهذه الاحمال هي تربية النسل في الفضيلة والشهامة والاقدام وتخفيف متاع الزوج وتدبير المنزل بنشاط واقتصاد وجعله فردوساً ارضياً . وهذه الواجبات كلها لا تقوم بها المرأة لولا انطباعها على فضيلة الايثار التي تقدم ذكرها . فقبل الزواج عليها الاستعداد لهذه الوظيفة السامية التي هي اسمي من وظائف الملوك لان الملوك يخرجون من تحت يدها وبعد الزواج عليها العمل بما تعلمته في زمان الاستعداد . والفتاة التي تهمل هذا الاستعداد ونقول : « اف لا ارى شيئاً يسرنني في هذه الحياة » او التي نقول « الغرض من الحياة حسن الملابس وكثرة المسرات » انما هي فتاة جاهلة او مريضة . اذ كيفما التفت الانسان في

هذه الحياة المملوءة بالشوهر والاحزان والمصاعب يجد ان المحتاجين والمحتاجات الى المساعدة والاعانة والتعزية والتسلياة والارشاد والهداية اكثر من رمل البحر ونجوم السماء . واذا كانت سيدة الكون وحاملة لواء الفضيلة والخير فيه تهجر فضيلة الايثار فمن ننتظر العمل بها في هذا العالم . امن انانية الرجل وخشونته وجهه لذاته ؟

فتعلمي باعز يزتي ان تكوني نافعة لغيرك : لاهلك اليوم ولقريبك وكل طالبي مساعدتك . وغداً لخطيبك وزوجك واولادك ومنزلك . ثم علمي ذلك رفيقتك وكل رفيقة لك . هذا هو سبيل السعادة والهناء في هذه الدنيا الفانية ورأس الواجبات البشرية . وفي كل حديث وكل فكر وكل كتابة لك لا تنسي ان تضعي هذا المبدأ نصب عينيك : ان الانسان الذي لا يفكر بالانفسه ولا يبذل جهده لنفع بني جنسه انما هو اقرب الى الحيوانية منه الى الانسانية فاستحلفك بحياتك باعز يزتي ان تصدقيني : اما صرت بعد مطالعتك هذه الافكار تجددين للحياة غرضاً ولذة

اما استشارة حضرة ابيك اياي بشأن جناب الشاب (كرم) فسا كلمك عنها في فرصة اخرى لاطلعلك على ما ذكرته له عنه وعن رأيي بشأن الزواج . ودمت لمعلمتك ورئيستك
« أماً »



المرحوم تقلا باشا

قال المسعودي هريديا الشاعر الفرنسي المشهور في ختام خطبته في الاكاديمية الفرنسية في هذا الشهر جواباً عن خطبة المركيزدي فوكوه الارشيولوجي المستشرق الذي خلف الدوق دي بروني في كرسي الاكاديمية ما خلاصته : ان الانسان لا يهرب الموت اذا كان قد ملأ ايامه في حياته بالاعمال النافعة وقام بكل ما كان يجب عليه . وقد اخطر هذا القول في بالنا صدور كتاب عدد صفحاته ٤٦٣ صفحة مطبوع على ورق مشرق صقيل طبعاً في غاية النظافة والاثقان وعنوانه « بشارة باشا تقلا » وفيه اقوال الجرائد التي ابنت هذا الفقيد الكريم ومرآتي الشعراء ومختارات من كتابات الفقيد في جريدته الاهرام منذ خط اول حرف فيها الى ان اوقف الموت بنانه . وقد اهدى هذا الكتاب حضرة نجل الفقيد الى قراء الاهرام كتذكاري لوالد تفقّر بمثله الابناء

ولقد تصفحنا هذا التذكار الثمين بأسف لم تبرد حرقته بعد فراينا فيه صدق مقال
المسيودي هريديا . ذلك ان هذا الكتاب جامع لآمرين . الاول اجماع الناس كبارهم
وصغارهم على الحزن لوفاة الفقيه العزيز . والثاني مختارات من كتاباته تدل كل الدلالة على
ما كان من اعماله في حياته . وان قصارى الانسان في هذه الحياة ان يعيش ويبني ما
بناه المرحوم نقلا باشا

اما مختارات كتابات الفقيه فجدير بكل فارىء ان يطالعها بامعان . وهي تبدأ من
عام ١٨٧٩ « واول مقالة نشرت للفقيه بتوقيعه مقالة عنوانها « وذكر ان نفع الذكرى »
وقد جاء فيها « وليس بخفي ان نقطة الدائرة في كل امر هي ان يعرف الانسان ما يريد .
وما يستطيع . وما يجب عليه . فاذا فقد ذلك اندفع اندفاعاً بين يدي الاتفاق » نقول
وهذه العبارة وحدها هي خطة براسها تدل على حكمة صاحبها وتديره وتستر سبب ارتقائه
وفي هذه المختارات شيء كثير عن حوادث السودان ومصر والدولة العثمانية قبل حوادث
عراقي والاحتلال وبعدها . منها حديث للفقيه مع جول فري رئيس الوزارة الفرنسية
في عام ١٨٨٤ . وقد سال جول فري في هذا الحديث اين هم رجال مصر القادرون على
حكم مصر اذا خرج الانكليز منها . فاجابه الفقيه « ليس من عقلاء المصريين من يقبل
وظيفة مهمة في الحكومة اذا بقي الانكليز متداخلين في ادارات الاشغال »

ومنها حديث مع جناب اللورد سالسبوري في ١٩ يونيو من ذلك العام . وكان جناب
اللورد يرأس يومئذ حزب المحافظين المعارضين لسياسة المستر غلاستون رئيس الوزراء .
فساله اللورد في بدء الحديث للترجمة حضرت الى انكلترا قال « لا بل للمحاماة عن حقوق
وطني مصر » ثم يلي ذلك حديث طويل استمر ساعة ونصف ساعة . ولولا ضيق المقام لوصول
الكتاب الى يدنا متأخراً لخصنا منه شيئاً كثيراً لا يخلو ذكره من فائدة . فنحن نكرر طلب
الرحمة للفقيه العزيز والعزاء لاسرته الكريمة ونرد فيه قول جناب رئيس تحرير الاهرام

وقضت مذ قضى بشارة أما ل كبار حث اليها الرثائب
كان في ثغر ذا الزمان ابتساماً فبدا الدهر عابس الوجه غاضب
فسلام علي بشارة منا كلما خط في الصحيفة كاتب
ورعى الله نجله وحماه وحى فيه فضله والمراتب